الفصل الثامن

تعظيم القبور .. وتقديس المقبورين

● **السنة .. والبدعة :**

السنة لغة : الوجه ، أو دائرته ، أو الصورة ، أو الجبهة والجبينان ، أو السيرة والطبيعة[1] .. وكلها معان متقاربة تشترك فى الدلالة على صورة معينة حسية أو معنوية ..

ويقول الأزهرى : السنة الطريقة المحمودة المستقيمة ..

ويقول الشيخ رشيد رضا : قيل انها من قولهم سن الماء اذا والى صبه .. فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب ، فانه لتوالى اجزائه على شىء واحد يكون كالشىء الواحد[2] .

ويقال : السنة : الطريقة والسيرة .. حميدة كانت أو ذميمة ..

وسواء قصرنا السنة من ناحية اللغة على السيرة المستقيمة ، أو السيرة مطلقا مستقيمة أو غير مستقيمة .. فانها تتقيد بما تضاف اليه ..

يقول تعالى : **« سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلا »**[3] .

ويقول ﷺ : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها » .

فالسنة فى الأصل : سنة الطريق ، وهو طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكا لمن بعدهم .. وهى لا تنفصل عمن سنها .. بل ترتبط به باعتباره مصدرها ومنشأ وجودها ..

---

(١) القاموس المحيط ، ولسان العرب .

(٢) تفسير المنار ج ٤ ص ١٤٠ (٣) الاسراء : ٧٧

واختلف معنى السنة فى الشرع باختلاف المباحث التى تناولتها ، وقامت بتحديدها ..

فعلماء الأصول .. يطلقون السنة على ما صدر من النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ..

وبعضهم يدخل فيها ما علم به ﷺ أو أشار اليه ، وان لم يتواتر عند الجمهور ويخصون ذلك بغير القرآن الكريم ..

وقد يدخل فيها بعضهم سنة الخلفاء الراشدين ، ويدخل فيها بعضهم سنة الصحابة ..

وعلماء الحديث .. يعرفونها بأنها ما اضيف الى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية[٤] .. وما يتصل بالرسالة من أحواله الشريفة قبل البعثة .. ونحو ذلك ..

وعلماء الفقه .. يختلف تعريفهم للسنة لاختلاف أنظارهم وتفاوت أفهامهم ..

فمنها .. تعريفهم لها بأنها : « ما فى فعله ثواب ، وفى تركه عتاب لا عقاب » ..

وجعلها بعضهم من قبيل المندوب ، والمندوب ما يحمد فاعله ولا يذم تاركه ..

وهى عند الحنفية .. الطريقة المسلوكة فى الدين ، يطالب باقامتها بلا افتراض ووجوب .. وقسموها الى سنن زوائد كسيرة النبى ﷺ فى اللباس والقيام والجلوس ، وسنن هدى كالأذان والاقامة ونحوهما .. وأوجبوا على ترك الثانية الاساءة والكراهة دون الأولى ..

وتطلق السنة على ما يقابل البدعة .. استنادا الى المقابلة بينهما فى الأحاديث .. وعلى ذلك تشمل السنة كل ما تشتمل عليه الشريعة من قرآن وغيره ، مما ورد عن الرسول ﷺ ، وقد تشتمل ما استند الى الشريعة عن طريق أقرته كاجتهاد صحيح ..

---

(٤) بفتح الخاء فى الأولى وضمها فى الثانية ..

يقول ابن حزم : « السنة .. هى الشريعة نفسها ، وأقسامها فى الشريعة فرض أو ندب أو اباحة أو كراهة أو تحريم .. كل ذلك قد سنه الرسول ﷺ عن الله عز وجل »(٥)

● والبدعة لغة : اسم هيئة من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ، وهى : كل شىء أحدث على غير مثال سابق .. سواء أكان محمودا أو مذموما ..

والبدع — بكسر الباء : الأمر الذى يكون أولا .. ومنه قوله تعالى : « **قل ما كنت بدعا من الرسل** »(٦) : أى لست أول من جاء بالوحى من عند الله تعالى وحمل الرسالة الى الناس ، بل قد أرسل قبلى مبشرون ومنذرون ، فلست مبتدعا — اسم مفعول — لم يتقدمنى رسول ..

ويجوز أن يكون بمعنى مبتدع — اسم فاعل — فيكون معنى الآية : ما كنت مبتدعا فيما أقوله وأدعو اليه من الرسالة ، ولست مخترعا لها .. بل هى من عند الله ..

والبدع بكسر الباء : يستعمل فى الخير والشر .. ورجل بدع : أى غمر لم يجرب الأمور ..

وفلان بدع من الأمر : أى هو أول من فعله لم يسبقه اليه أحد .. فبدع هنا بمعنى مبتدع .. ورجل بدع ، وامرأة بدعة : اذا كانا غاية فى كل شىء علما أو شرفا أو شجاعة .. أو غير ذلك ..

ورجل أبداع ، ونساء بدع وأبداع ..

وشىء بدع : أى مبتدع وجمعه أبداع وبدع .

والبديع : من أسمائه تعالى ، لابداعه الأشياء واحداثه اياها .. فيكون بمعنى مبدع ، أو من بدع الخلق أى بدأه ..

---

(٥) انظر البدعة .. تحديدها وموقف السلام منها ، للدكتور عزت على عيد عطية ، نشر دار الكتب الحديثة ص ١١٧ — ١٢١ بتصرف .

(٦) الأحقاف : ٩

أما البدعة فى اصطلاح الشرع .. فقد اختلفت أنظار العلماء فى تحديد معناها .. وتنوعت تعبيراتهم عنها .. فمنهم من توسع فى هذا التحديد فاتسع عنده مدلول البدعة وما يندرج تحت هذا المفهوم .. ويمثل هذا الاتجاه بعض العلماء المشهورين ..

فالامام الشافعى — رحمه الله — يقسم البدعة الى حسنة وسيئة ، أو محمودة ومذمومة .. وهى على هذا تشمل كل حادث بعد عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين .. والمحدثات من الأمور عنده ضربان : أحدهما : ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو اجماعا أو أثرا ، فهذه البدعة الضلالة ، والثانى : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا ، فهى محدثة غير مذمومة ..

ويقول ابن حزم — رحمه الله — : « البدعة فى الدين : كل ما لم يأت فى القرآن ، ولا عن رسول الله ﷺ ، الا أن منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر بما قصد اليه من الخير .. ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسنا ، وهو ما كان أصله الاباحة .. كما روى عن عمر رضى الله عنه : « نعمت البدعة هذه » وهو ما كان فعل خير جاء النص بعموم استحبابه وان لم يقرره عمله فى النص .. ومنها : ما يكون مذموما ولا يعذر صاحبه ، وهو ما قامت الحجة على فساده فتمادى القائل به » ..

ويقول أبو حامد الغزالى : « وما يقال انه أبدع بعد رسول الله ﷺ [وكان يتحدث عن الأكل على السفرة] فليس كل ما أبدع منهيا عنه ، بل المنهى عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته .. بل الابداع قد يجب فى بعض الأحوال اذا تغيرت الأسباب » ..

ويقول ابن الأثير فى النهاية : « البدعة بدعتان .. بدعة هدى وبدعة ضلال .. فما كان فى خلاف ما أمر به الله ورسوله ﷺ ، فهو فى حيز الذم والانكار .. وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله اليه وحض عليه أو رسوله فهو فى حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من السخاء والجود وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك فى خلاف ما ورد فى الشرع به ..

لأن النبى ﷺ قد جعل له فى ذلك ثوابا .. فقال : « من سن سنة حسنة كان له أجره وأجر من عمل بها » .. وقال فى ضده : « من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها » .. وذلك اذا كان فى خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ ..

ومثل البدعة الحسنة يقول عمر فى صلاة التراويح « نعمت البدعة » .

ثم قال : وهى على الحقيقة سنة لقوله ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين » ، وقوله : « اقتدوا باللذين من بعدى : أبو بكر وعمر » ..

وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر : « كل محدثة بدعة » على ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة » ..

ويقول الدهلوى فى شرح المشكاة : « اعلم أن كل ما ظهر بعد رسول الله ﷺ بدعة ، وكل ما وافق أصول سنته وقواعدها أو قيس عليها فهو بدعة حسنة ، وكل ما خالفها فهو بدعة سيئة وضلالة » ..

والى هذا الاتجاه مال الشيخ عز الدين بن عبد السلام والنووى وأبو شامة .. فالبدعة فيما يرى هؤلاء ومن وافقهم : « فعل ما لم يعهد فى عهد رسول الله ﷺ » .

ومن العلماء .. من ضيق مدلول البدعة ، وما يندرج تحته من الصور والأحكام .. وينقسم هذا الاتجاه الى قسمين ..

قسم لا تتقيد فيه البدعة بشىء سوى مخالفة السنة .. وقسم تتقيد فيه البدعة فضلا عن ذلك بنسبتها الى الدين وجعلها من الشرع ..

ويمثل القسم الأول عدد من العلماء تنوعت تعبيراتهم على مدلول واحد .. يقول ابن رجب الحنبلى : « المراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له فى الشريعة يدل عليه ، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا ، وان كان بدعة لغة » .

ويقول ابن حجر العسقلانى : « والبدعة : أصلها ما أحدث على غير مثال سابق ، وتطلق فى الشرع فى مقابل السنة فتكون مذمومة » ..

كما يقول فى موضع آخر : « والمحدثات جمع محدثة — والمراد بها — أى فى الحديث : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .. ما أحدث وليس له أصل فى الشرع — ويسمى فى عرف الشرع بدعة ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة » ..

ويقول ابن حجر الهيتمى : « وهى — أى البدعة — لغة : ما كان مخترعا ، وشرعا : ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام » ..

ويقول الزركشى : « البدعة فى الشرع موضوعة للحادث المذموم » ..

فالاتجاه العام فى هذا القسم يتمثل فى أن البدعة شرعا : كل حادث مذموم ، وليست كل حادث على الاطلاق ، أو كل حادث بشرط نسبته الى الدين ..

أما القسم الثانى الذى تتقيد فيه البدعة بنسبتها الى الدين وجعلها من الشرع .. فيتمثل فى رأى الشاطبى فى « الاعتصام » ومن وافقه على ذلك من العلماء ..

وأساس هذا الاتجاه هو تعريف البدعة بالمحدث المخالف للسنة الذى جعل دينا قويما وصراطاً مستقيما .. سواء اقتصرنا فى تعريف البدعة على ما كان كذلك من العبادات فقط ، أو جعلناه شاملا لما كان كذلك فى العبادات والعادات معا ..

ويعرف « الشاطبى » البدعة على هذا الأساس بتعريفين :

الأول : البدعة .. طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله تعالى ..

والثانى : أنها طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ..

ويشرح الشاطبى تعريفيه بما يلقى الأضواء الكاشفة على مراده منهما .. فيقول ما خلاصته :

« الطريقة » : ما رسم للسلوك عليها .. « فى الدين » قيد لاخراج

الطريقة فى الدنيا ، كاحداث الصنائع والبلدان التى لا عهد بها فيما تقدم .. « مخترعة » : لا أصل لها فى الشريعة ولا تعلق لها بها ، بخلاف ما له تعلق بها مما حدث بعد العصر الأول ، كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة وأصـــول الدين والفقه .. « تضاهى الشرعية » : أى تشبهها من غير أن تكون كذلك بل هى مضادة لها ، من جهة وضع الحدود كالاقتصار فى المـــأكل والملبس على صنف دون صنف بلا علة ، أو من جهة التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبى ﷺ عيدا ، أو التزام عبادات معينة فى أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين فى الشريعة كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليله ، وسواء فى ذلك ألبس صاحبها على الناس بما ابتدعه ، أو التبست البدعة عليه بالسنة ، ما دام مصرا عليها مع معرفته ببدعيتها أو اخباره بهذا الابتداع .. والمبتدع بذلك فى شىء مما سبق ذكره من الأمثلة ، مشابه للجاهليين فى تغييرهم ملة ابراهيم عليه السلام حيث قالوا فى أصل الاشراك : **« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »**[٧] .. وتأول الحمس[٨] ترك الوقوف بعرفة بقولهم : لا نخرج من الحرم ، اعتدادا بحرمته .. وتأول من طاف منهم بالبيت عريانا بقوله : لا نطوف بثياب عصينا الله فيها .. ونحو ذلك » ..

ومعنى قوله فى التعريف الأول : « يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله تعالى » : قيد لاخراج العادات من البدع ، وبيان أن ما ابتدع من الأمور الزائدة على المشروع ، والمنســـوبة الى الشرع مقصود بها المبالغة فى التعبد ، أو تجديد النشاط الى العبادة ..

أما على التعريف الثانى ، فمعنى قوله : « يقصد بهـــا ما يقصد بالطريقة الشرعية » : أن المبتدع يخترع ما يخترع لاصلاح الدين أو الدنيا على حد زعمه ، كمن يدخل المناخل فى قسم البدع ، والبناءات

---

(٧) الزمر : ٣

(٨) المراد قريش وما ولدت وحلفاؤهم ، سموا بذلك لتحمسهم : أى تشددهم فى الأمور .

المشيدة ونحو ذلك ، مما يتعلق بالمخترعات المنسوبة الى الدين من العادات ، أى ادعاء اباحتها كغيرها من الأمور المباحة من الدين »[٩] .

ويستند الشاطبى ومن وافقه .. الى أن الأدلة الكثيرة التى وردت فى ذم البدعة والمبتدعة ومن تابعهم ، ليس فيها استثناء البتة ، وليس فيها ما يقتضى أن من البدع ما ليس سيئا .. وقد ورد فى هذه الأدلة ما يقتضى تخصيص البدعة عن غيرها من المعاصى ..

فالبدعة لا يقبل معها عمل .. عن حذيفة رضى الله عنه قال : « لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا .. يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين »[١٠] .

وصاحب البدعة تنزع منه العصمة ويوكل الى نفسه لأنه يترك ما منحه الله من الرسالة الاسلامية الواضحة الى هوى نفسه الذى لا عصمة فيه ..

وأن صاحب البدعة .. ملعون على لسان الشريعة ، فقد لعن رسول الله ﷺ تارك السنة ، وصاحب البدعة شارك بهذا اللعن من كفر بعد ايمانه ، وأعرض عن الرسول ﷺ مع معرفته بصدقه .

وأن صاحب البدعة .. يزداد من الله بعداً مهما بالغ فى الطاعة والعبادة ..

وأن البدعة .. مظنة العداوة والبغضاء بين أهل الاسلام لأنها سبب التفرق وأساس الاختلاف .

وأنها مانعة من شفاعة نبينا محمد ﷺ كما يدل على ذلك حديث طرد من أحدث فى الدين عن الحوض يوم القيامة ..

وأن على مبتدعها اثم من عمل بها الى يوم القيامة ..

---

(٩) انظر : البدعة ، تحديدها وموقف الاسلام منها ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ — ٢٠٢ بتصرف .

(١٠) رواه ابن ماجه .

وأن المبتدع يلقى عليه الذل في الدنيا ويلحقه الغضب من الله تعالى .. فقد لعن اليهود بسبب ابتداعهم فى دينهم ..

وأن صاحب البدعة يخشى عليه من سوء الخاتمة لاصراره على المعصية وهو يظن أنه على طاعة ..

وأن وجهه يسود فى الآخرة .. فقد تأول مالك — رضى الله عنه — قوله تعالى : « **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** »(١١) فى أهل الأهواء ، ونقل هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما ..

وأنه يجب التبرؤ من صاحب البدعة فى الدنيا .. كما جاء عن ابن عمر فى القدرية ، وعن أبى قلابة ويحيى بن أبى كثير ونحوهم .

وأنه يخشى على صاحب البدعة الفتنة ..

وأن البدع ضلالة ، والمبتدع ضال ومضل .. بخلاف سائر المعاصى فانها لم توصف فى الغالب بوصف الضلالة الا أن تكون بدعة أو شبه البدعة .. فلا يسمى الخطأ فى الاجتهاد ضلالة لأنه معفو عنه ، كما لا يطلق هذا اللفظ على المتعمد لسائر المعاصى ، وذلك لحكمة قصد اليها ، لأن الضلالة ضد الهدى ، والضلالة تطلق على الخروج عن الطريق محسوسا أو معنويا .. فالمبتدع خارج عن السنة وهو يتوهم أنه سائر فى الطريق المستقيم .. وهو ضال من حيث يظن أنه على الجادة .. والدليل على ذلك : أن كل مبتدع ينتسب الى الملة يستشهد على بدعته بدليل شرعى ينزله على ما وافق عقله وشهوته ، ولا يتيسر له ذلك الا فى الأدلة المتشابهة ..

ثم يقول الشاطبى : « والأمثلة كثيرة ، جميعها يشهد بأن الضلال فى غالب الأمر انما يستعمل فى موضع يزل صاحبه لشبهة تعرض له ، أو تقليد من عرضت له الشبهة ، فيتخذ ذلك شرعا ودينا يدين به مع وجود واضحة الطريق وجادة الصواب » .

---

(١١) آل عمران : ١٠٦

ويؤكد الشاطبي موقفه من تخصيص البدعة ، فيذكر أنه اذا وقع الذنب موضع الاقتداء قد يسمى استنانا فيعامل صاحبه معاملة من سنه ، كما جاء في حديث : « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها » . وحديث ابن آدم وأنه أول من سن القتل .. حيث سمى القتل سنة بالنسبة لمن يقتدى به فيه ، لكنه لا يسمى بدعة ، لأنه لم يوضع على أن يكون تشريعا ، ولا يسمى ضلالا لأنه ليس في طريق المشروع أو في مضاهاته له »[١٢] .

بعد هذا المدخل الضروري في تعريف السنة والبدعة .. نتحدث بمشيئة الله عن وجوب طاعة الرسول ﷺ .. فنقول وبالله التوفيق :

● **طاعة الرسول .. من طاعة الله :**

أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله .. وأمرنا تعالى بطاعته والتسليم له في كل ما يوجهه الينا ..

بل انه تعالى .. ينبهنا الى ما يجب نحوه ﷺ من الطاعة والاتباع ، ومن التبجيل والتوقير والاحترام ..

ويكلفنا بالتسليم للرسول ﷺ دون اعتراض وعدم الخروج عن توجيهاته مهما كانت الأحوال ..

يقول تعالى : « ... **ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** »[١٣] .

الله تعالى — في هذه الآيات — يشترط لحصول رضاه وتفضله بالثواب والرحمة في الدنيا والآخرة : اتباع الرسول ﷺ والرضا والتسليم بكل ما أمر به أو نهى عنه ..

---

(١٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ — ٢١٤ بتصرف .

(١٣) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧

كما يربط تعالى بين طاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ ، ويجعلهما شيئا واحدا .. فطاعة الرسول ﷺ مندرجة فى الأمر بطاعة الله تعالى .. ولا تتحقق طاعة الله الا بطاعة الرسـول لأنها جزء منها .. يقول جل شـأنه : **« قل أطيعوا الله والرسول ، فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين »**(١٤) .

بل ويعلق تعالى رحمته بعباده على طاعتهم لله وللرسول فيقول : **« وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون »**(١٥) .

ويبشر الطائعين لله ولرسوله بالفوز والفلاح .. فيقول جل وعلا : **« ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما »**(١٦) .

ويتفق المسلمون على أن طاعته تعالى دون طاعة رسوله ، أو طاعة الرسول دون طاعة الله ، أمر غير مقبول ، بل يجب اتباعه ﷺ فيما أمر به ، وعدم جواز الخروج على ما رسمه من معالم الطريق الى الله تعالى .. يقول تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسـول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسـول ان كنتم تؤمنون بالله واليـوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »**(١٧) .

يشير تعالى بذلك .. الى أن طاعة الرسـول ﷺ هدف ينبغى قصده بذاته — بجانب طاعة الله سبحانه وتعالى — وأن طاعته ﷺ لا تقل فى أهميتها عن طاعة الله ..

بل ان اتباع الرسول ﷺ هى السبيل الى نيل محبة الله ، والوسيلة الوحيـدة لتحقيق رضاه وحصول غفرانه : **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم »**(١٨) .

ويحذرنا تعالى من الاساءة الى الرسول ﷺ فى حياته ، أو الى

---

(١٤) آل عمران : ٣٢
(١٥) آل عمران : ١٣٢
(١٦) الأحزاب : ٧١
(١٧) النساء : ٥٩
(١٨) آل عمران : ٣١

سنته بعد وفاته بتقديم غيرها عليها أو بمخالفتها والخروج عليها بقوله : **« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ، واتقوا الله ، ان الله سميع عليم . يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشـــعرون »**(١٩) .

كما يتوعد — تعالى — المخالفين للرسول ﷺ بأوخم العواقب فى الدنيا والآخرة .. فيقـول : **« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »**(٢٠) .

ويؤكد — سـبحانه — أن الخروج — ولو مرة واحـدة — عن اتباع الرسول ﷺ والتسليم لأمره ، هو الضلال الواضح والانحراف الذى لا شك فيه .. فيقول : **« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا »**(٢١) .

من هذه الآيات وغيرها .. يتبين لنا أن الأمر باتباع الرسول ﷺ ، والتنديد من مخالفته فى شىء مما جاء به — ركن أسـاسى من أركان الايمان ، وتنفيذ للشطر الثانى من شهادة التوحيد « وأشهد أن محمدا رسول الله » .. فما دمنا نشهد أنه رسول الله حقا ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، فعلينا — اذن — أن نمتثل لأوامره وأن ننتهى بنواهيه ..

فاتباعه ﷺ .. هو السبيل الى دخول الجنة .. والابتعاد عن هذا الاتباع هو السبيل الى دخول النار .. يقول الرسول ﷺ فى الحديث الذى يرويه أبو سعيد الخدرى : « والذى نفسى بيده لتدخلن الجنـــة كلكم الا من أبى وشرد عن الله كشراد البعير » .. قالوا : يارسول الله ، ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ .. قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى »(٢٢) ..

---

(١٩) الحجرات : ١ ، ٢ (٢٠) النور : ٦٣

(٢١) الأحزاب : ٣٦

(٢٢) رواه الطبرانى . وابن حبان ، وذكره الهيثمى ..

ويعلق ابن حبان على هذا الحديث بقوله : طاعة رسول الله ﷺ هى الانقياد لسنته مع رفض قول من قال شيئا فى دين الله عز وجل بخلاف سنته ، دون الاحتيال فى دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة ..

ويضرب الرسول ﷺ المثل لموقف الناس من سنته بصورة محسوسة لأهمية السنة وعاقبة الخروج عليها .. فيقول : « انما مثلى ومثل الناس ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها ، فجعل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها .. فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها »(٢٣) ..

يقول النووى : مقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم فى نار الآخرة وحرصهم على الوقوع فى ذلك مع منعه اياهم ، بتساقط الفراش فى النار لضعف تمييزه ، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع فى ذلك لجهله ..

ويقول ﷺ : « دعونى ما تركتكم ، فانما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم »(٢٤) .

فالمسلم ملتزم باتباع السنة على قدر الوسع فى جانب الأمر وبلا أى قصور فى جانب النهى ، ولا يجوز له التوقف عن اتباع السنة مهما كانت الأحوال ..

وكما لا يجوز للمسلم مخالفة أوامر النبى ﷺ أو عصيانه .. فانه لا يجوز له التنزه عن الشىء الذى يرخص فيه ﷺ .. لحديث عائشة رضى الله عنها قالت : صنع النبى ﷺ شيئا ترخص فيه ، وتنزه عنه قوم .. فحمد الله ثم قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن

---

(٢٣) رواه البخارى ومسلم ..

(٢٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى ، وأحمد ، وابن حبان ، وابن ماجه ..

الشيء أصنعه ؟ .. فوالله انى أعلمهم بالله وأشدهم له خشية »[٢٥] .

وزاد مسلم فى روايته : « فغضب حتى بان الغضب فى وجهه ثم قال ..... » . .

فكل تصرفاته ﷺ وأعماله .. قائمة على أساس من العلم الصادق والعبادة الصحيحة .. فلا يمكن أن يكون من الأعمال ما يزيد فى الثواب عليها ، أو يوصل الى الله تعالى أسرع منها ..

يقول الداودى : ان التنزه عما رخص فيه النبى ﷺ من أعظم الذنوب .. لأنه — أى المتنزه عن ذلك — يرى نفسه أتقى لله من رسوله وهـذا الحاد ..

ويعلق على هذا ابن حجر فيقول : « لا شك فى الحاد من اعتقد ذلك .. ولكن الذى أعتل به من أشير اليهم فى الحديث أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيحتاج من لم يغفر له الى الأخذ بالعزيمة والشـدة لينجو » ..

ويشير ابن حجر .. الى ما اعتل به النفر الثلاثة الذين جاءوا الى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ، فقالوا : أين نحن من النبى ﷺ ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. فنذر أحدهم أن يصلى الليل أبدا ، ونذر آخر أن يصوم الدهر ولا يفطر ، ونذر الثالث باعتزال النساء فلا يتزوج أبدا ..

فقال لهم رسول الله ﷺ : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء .. فمن رغب عن سنتى فليس منى »[٢٦] .. فزجرهم ﷺ عن مثل هذا التفكير ، والتعلل بأنه ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، لذا فانهم يأخذون أنفسهم بالعزيمة والشدة طلباً للنجاة ..

ولهذا نراه — ﷺ — يمنع مثل هذه المقارنة ، ويدعو الى التسليم والاتباع بلا خروج الى حد التشديد ، أو نزول الى حد التساهل ..

---

(٢٥) رواه البخارى ومسلم ..

(٢٦) رواه البخارى ومسلم ، وابن حبان .

فهو ﷺ يعلم فضل الله عليه ، ويعلم واجب كل انسان نحو الله تعالى .. ولو كان الأمر يحتاج من غيره الى عمل أكثر لبين ذلك ، والا كان مقصرا فى التبليغ والبيان ..

* * *

● **الغلو .. يؤدى الى الشرك :**

يحدثنا الامام البخارى عن الأصنام الأولى « ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر » .. فيقول نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح .. فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم : أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم .. ففعلوا .

ولم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم : عبدت » ..

ويقال : انهم لما ماتوا عاق الناس على قبورهم .. ثم نحتوا لهم التماثيل .. ثم لما طال عليهم العهد عبدوهم من دون الله ..

وهكذا كان الغلو فى شأن الصالحين يؤدى دائما الى الشرك والعياذ بالله ..

يقول تعالى : **« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق »**(٢٧) .

غالت اليهود فى شأن العزير .. فنسبوه الى الله تعالى !!

وغالى النصارى فى شأن المسيح — عليه السلام — فعبدوه مع الله تعالى ، وجعلوا منه ابنا له .. بل وقال بعضهم ان الله هو المسيح عيسى ابن مريم !!

وغالى اليهود والنصارى فى شأن أحبارهم ورهبانهم .. فاتخذوهم أربابا من دون الله .. يحللون لهم ما حرم الله ، ويحرمون عليهم ما أحله

---

(٢٧) النساء : ١٧١

لهم .. يقول جل شـــأنه : **« قل يا أهل الكتـــاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل »**[٢٨] .

ولهذا .. نرى الاسلام يحذرنا أشد التحذير من الغلو فى شأن الأولياء والصالحين .. لأن النـــاس انما ضلوا وانحرفوا الى عبادة الأصنام عندما عظموا الموتى فصوروا أصنامهم فى صورهم .. ولهذا لعن الرسول ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج ..

ونهى ﷺ عن الصلاة الى القبور ، أو اتخاذها عيدا وموسما .. فسأل الله تعالى أن لا يجعل قبره وثنا يعبد ، ونهى أمته أن يتخذوا منه عيدا ..

وأمر عليه الصلاة والسلام : بتسوية القبور .. ونهى عن اتخاذ التماثيل ، وغلظ فى ذلك تغليظاً شديدا ..

● يقول الدكتور يوسف القرضاوى — جزاه الله عن الاسلام خيرا — : « ... ان غلو بعض المسلمين فيمن يعتقدون صلاحهم وولايتهم لله تعالى — وبخاصة أصحاب الأضرحة والمزارات — يؤدى الى أنواع من الشرك .. كالنذر اليهم ، والذبح لهم ، والاستعانة بهم ، والاقسام بهم على الله تعالى ، ونحو ذلك ..

وقد يفضى بهم الغلو الى الشرك الأكبر — والعياذ بالله — وهو اعتقاد أن لهم سلطة وتأثيرا فى الوجود وراء الأسباب والسنن الكونية .. فيدعونهم من دون الله أو مع الله .. وهـــذا هو الاثم العظيـــم ، والضلال البعيد » ..

ولهذا كان : « مما حذر الاسلام منه أشد التحذير تعظيم القبور .. وبخاصة قبور الأنبياء والصالحين ، ولذلك نهى عن جملة أشـــياء تفضى الى تعظيم القبور ، منها : اتخاذها مساجد ، والصلاة اليها ، واضاءتها ، وايقاد السرج عليها ، والبنـــاء عليها وتجصيصها ، والكتابة عليها ، وتعليتها ورفعها ، واتخاذها عيدا » ..

---

(٢٨) المائدة : ٧٧

« والحكمة فى نهى الاسلام عن تعظيم القبور أنه ذريعة الى الشرك الأصغر والأكبر [كما رأينا فى قوم نوح ، وكما هو مشاهد الى اليوم] فالغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا معبودة •• ولهذا قال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد •• اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٢٩] .

« ومما يأسف له كل مسلم غيور على دينه •• أن ما حذر منه الرسول ﷺ قد وقع فيه كثير من أهل الاسلام •• فقد اتخذوا قبور بعض الصالحين أعيادا ، وشيدوها وزخرفوها ، وبنوا عليها المساجد والقباب ، وأوقدوا عليها السرج والقناديل ، ووقفوا لذلك الوقوف ، ونذروا لها النذور ، وطافوا بها كالكعبة ، واستلموها كالحجر الأسود ، وأوسعوا جدرانها لثماً وتقبيلا •• ومنهم من يسجد لها ، ويعفر الخدود على ترابها ، ويقف خاشعا مستكينا يستغيث بأصحابها •• يسألهم — مشافهة — قضاء الديون ، وتفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، وشفاء المرضى ، والنصر على الأعداء !!

وبعضهم يقدم طلباته مكتوبة فى رقاع الى صاحب القبر •• وهذا من الشرك الصريح ، ولا حول ولا قوة الا بالله » ا هـ[٣٠] .

● ويقول فضيلة الشيخ محمود محمد خطاب السبكى[٣١] — رحمه الله — : « ••• من البدع المذمومة ما التزموه فى المقابر من العادات المقبوضة •• كاتخاذها أعيادا تشد اليها الرحال •• ويجتمع فيها النساء والرجال والأطفال •• ولا سيما فى ليلتى العيدين ، وأول جمعة من رجب •• وتذبح عندها الذبائح ، وتطبخ أنواع المآكل •• فيأكلون ويشربون ، ويبولون ويتغوطون ، ويلعبون ويسخبون • • ويقرأ لهم القرآن من يستأجرون لذلك من العميان •• ولهم أعمال من دون ذلك هم عليها عاكفون !!

---

(٢٩) رواه مالك .

(٣٠) حقيقة التوحيد ، مرجع سابق ، ص ٦٤ — ٦٨ بتصرف .

(٣١) فى الدين الخالص ، ج ٨ ، ص ٨٨ — ٩١ بتصرف .

« واذا كان ما يأتون من القراءة والذكر هنالك من البدع المنكرة ، وكان بعض المباحات يعد هناك من الأمور المكروهة أو المحرمة .. فما القول فى سائر أفعالهم الظاهرة والباطنة ؟ ؟

ولو لم يرد فى حظر هـذه الاجتماعات فى المقابر الا حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ مرفوعا : « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »(٣٢) لكفى .. ولكن ذلك كله قد صار من قبيل شعائر الدين وآيات اليقين .. توقف له الأوقاف التى يسجلها ويحكم بصحتها قضاة جاهلون .. ويأكل منها أدعياء العلم المضلون !!

« وقد كان بعض الصحابة ـ وغيرهم من علماء السلف ـ يتركون بعض السنة أحيانا حتى لا يظن العوام أنها مفروضة بالتزامها ، تأسيا بالرسول ﷺ فى ترك المواظبة على بعض الفضائل خشية أن تصير من الفرائض .. فخلف من بعدهم خلف قصروا فى الفرائض وتركوا السنن والشعائر ، وواظبوا على هـذه البدع .. حتى انهم ليتركون لأجلها الأعياد والجمع !!

« ومن المنكر .. ما يقع من بعض من لا خلاق لهم ، من اعتقادهم فى قبور الصالحين والأولياء ، وبعض الأشجار والأبواب .. أنها تنفع أو تضر ، أو تقرب الى الله تعالى ، أو تقضى الحوائج بمجرد التشفع بها الى الله تعالى !! .. يطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام .. ويخاطبون الميت بالكلمات المكفرة كقولهم : « اتصم ظهره ياسيد وخذ عمره» !! أو «تصرف فيه يا امام » !! ، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد !!

« ولكل جهة رجل ينادونه .. فأهل مصر يدعون الشافعى والبدوى والبيومى !! ، وأهل العراق والهند والشام يدعون عبد القادر الجيلى !! ، وأهل مكة والطائف يدعون ابن عباس [كان ذلك قبل انتشار المذهب الوهابى فى المملكة العربية السعودية ، وقد تلاشى ذلك بحمد الله] ، ويندرون لهم النذور ، ويذبحون لهم الذبائح ، ويوقدون لهم السرج ، ويضعون الدراهم فى صناديقهم !!

---

(٣٢) اخرجه أحمد والأربعة والحاكم ، وصححه ..

« ولا ريب أن هذا من أعمال الجاهلية ، ومخالف لدين الله تعالى ورسوله ، وما كان عليه سلفنا الصالح رضى الله عنهم .. ولو عرف الناذر بطلان ذلك ما أخرج درهما ، فان الأموال عزيزة عند أهلها .. قال تعالى : « **ولا يسألكم أموالكم . ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم** »(٣٣) .

« فالواجب على كل عاقل تحذير من يفعل ذلك .. لأنه اضاعة للمال ، ولا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضررا .. بل فيه المخالفة والمحاربة لله تعالى ورسوله ﷺ ..

« ويجب رد المال الى من أخرجه ، وقبضه حرام .. لأنه أكل مال الناذر بالباطل، وقد قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** »(٣٤) — أى ما لم يبحه الشرع كالنذر لغير الله ، وكالغصب ، والقمار ، والربا .. ونحو ذلك — وفيه تقرير الناذر على قبح اعتقاده وشنيع مخالفته .. فهو كحلوان الكاهن ومهر البغى .. ولأنه تدليس من هؤلاء القوم وايهام له أن الولى ينفعه ويضره .. فأى تقرير لمنكر أشد من قبض النذر على الميت ، وأى تدليس أعظم من هـذا ؟ !

« يقول الصنعانى — بعد كلام فى هذا الموضوع — : « فان قلت : هذا أمر عم البلاد واجتمعت عليه سكان الأرض شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا — فلا بلدة ولا قرية الا وفيها قبور ومشاهد ، وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها ، وينذرون لها ، ويهتفون بأسمائها ، ويحلفون لها ، ويطوفون بفناء القبور ، ويسرجونها ، ويلقون عليها الورود والرياحين ، ويلبسونها الثياب ، ويصنعون كل ما يقدرون عليه من العبادة لها وما فى معناها من التعظيم والخشوع !! .. بل هذه مساجد المسلمين ، غالبها لا يخلو عن قبر أو مشهد يقصده المصلون فى أوقات الصلاة ، يصنعون

---

(٣٣) محمد : ٣٦ ، ٣٧ ، وقوله تعالى : « **فيحفكم** » : أى يجهدكم ويطلب منكم كل أموالكم ، « **ويخرج أضغانكم** » : أى يظهر أحقادكم .
(٣٤) النساء : ٢٩

فيه ما ذكر أو بعضه ، ولا يسع عقل عاقل أن منكرا يبلغ ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الاسلام !!

« قلت — والقائل هو الصنعانى — : ان أردت الانصاف وتركت متابعة الأسلاف ، وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل ، لا ما اتفق عليه العالم جيلا بعد جيل .. فاعلم أن هذه الأمور التى ندندن حول انكارها ، ونسعى فى هدم منارها .. صادرة عن العامة الذين اسلامهم تقليد الآباء بلا دليل .. ينشأ الواحد منهم ، فيجد أهل بلدته يلقنونه فى الطفولة أن يهتف باسم من يعتقدون فيه ، ويراهم ينذرون له ويعظمونه .. ويرحلون به الى محل قبره ويلطخونه بترابه ويطوفون به على قبره .. فينشأ وقد وقر فى قلبه عظمة ما يعظمونه !! .

فنشأ على هذا الصغير ، وشاخ عليه الكبير ، ولا يسمعون انكارا عليهم !!

بل ترى من يتسم بالعلم ويدعى الفضل معظما لما يعظمونه .. قابضا للنذور ، آكلا ما ينحر على القبور .. فيظن أن هذا هو دين الاسلام !!

ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ، ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر .. أن سكوت العالم أو العالِم — بكسر اللام فى الأولى ، وفتحها فى الثانية — على وقوع منكر ليس دليلا على جوازه »[٣٥] .

« ويقول ابن القيم : « كان النبى ﷺ اذا زار القبور يزورها للدعاء لأهلها والترحم عليهم والاستغفار لهم ..

فأبى المشركون الا دعاء الميت ، والاقسام على الله به ، وسؤاله الحوائج ، والاستعانة به ، والتوجه اليه .. بعكس هديه ﷺ ، فانه هدى توحيد واحسان الى الميت ، وهدى هؤلاء شرك واساءة الى نفوسهم والى الميت ..

---

(٣٥) انظر تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد ص ٢٩ ، والمنهل العذب المورود ج ٩ ص ١٠٣ ، والنص منقول من الدين الخالص ..

وهم ثلاثة أقسام : اما أن يدعوا للميت ، أو يدعوا به ، أو عنده .. ويرون الدعاء عنده أولى من الدعاء فى المساجد .. ومن تأمل هدى رسول الله ﷺ تبين له الفرق بين الأمرين »[٣٦] .

* * *

يقول الله تعالى : « **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** »[٣٧] .

فالله تعالى يأمر رسوله ﷺ قائلا : قل يامحمد : هل نخبركم ، أيها القوم ، بالذين أتعبوا أنفسهم فى عمل يبغون به ربحا ، فنالوا به عطبا وهلاكا ؟ . انهم الذين لم يكن عملهم على هدى واستقامة ، بل على جور وضلالة ، لأنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به ، وهم يظنون أنهم لله مطيعون ، وفيما ندب اليه مجتهدون !!

ويقول جل شأنه : « **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** »[٣٨] .

أى أطيعوا الله ورسوله فى كل أمر ونهى .. وذلك باتباع الكتاب والسنة ..

ويقول جل وعلا : « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** »[٣٩] .

أى قل لهم يامحمد : ان كنتم كما تزعمون تحبون الله ، فحققوا قولكم باتباعى ، فان ذلك علامة صدقكم فى محبتكم لله ، فيصفح ويعفو عما مضى من ذنوبكم فهو وحده الغفور لذنوب عباده ، الرحيم بهم ..

كما يقول : « **فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** »[٤٠] .

أى : من كان يخاف ربه يوم لقائه ، ويراقبه ويرجو ثوابه ، فليخلص له العبادة ، ولا يجعل له شريكا فى عبادته ..

---

(٣٦) انظر زاد المعاد جـ ١ ، ص ١٤٦

(٣٧) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ (٣٨) النساء : ٥٩

(٣٩) آل عمران : ٣١ (٤٠) الكهف : ١١٠

بل انه تعالى .. يقسم بذاته قائلا : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** »(٤١) .

أى : فوربك يامحمد ، لا يؤمنون حق الايمان حتى يجعلوك حكما فيما تنازعوا واختلفوا فيه من أمورهم ، ثم لا يجدوا ضيقا فى أنفسهم مما حكمت بينهم ، ويسلموا لقضائك وحكمك تسليما مطلقا ، مع الاذعان والقبول ..

وتحكيم الرسول ﷺ يكون بالرجوع اليه حال حياته .. والى سنته المطهرة الثابتة بعد موته .. فما بال أقوام منا يعرضون عن تحكيم الرسول ﷺ ويأبون الامتثال لأوامره ، ويتبعون شياطينهم وكهانهم وشيوخهم ؟ !

لقد ثبت أن الغلو فى شأن الصالحين يؤدى بالمغالين من الناس الى الشرك بنوعيه — الأصغر والأكبر — ولهذا نرى الرسول ﷺ ينهى عن البناء فوق القبور أو تجصيصها أو تعظيمها ..

عن جابر رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر — أى يطلى بالجير — أو يقعد عليه ، أو يبنى عليه »(٤٢) ..

لهذا رأى العلماء أنه من البدع المنكرة الكتابة على القبور أو رفعها أعلى من شبر .. أو وضع القباب عليها ، لنهى الرسول ﷺ عن ذلك فى الحديث الذى رواه مسلم .. ولهذا أفتى بعض العلماء بهدم البناء على القبور . وقال الشافعى فى « الأم » : وجدت بمصر من الولاة من هدم القبور المسنمة — أى المرتفعة — فلم يمنعه أحد » ..

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية : هل تصح الصلاة فى المسجد اذا كان فيه قبر والناس تجتمع فيه لصلاتى الجماعة والجمعة ، أم لا ؟ .. وهل يمهد القبر أو يعمل عليه حائط أو حاجز ؟ .

---

(٤١) النساء : ٦٥

(٤٢) رواه أبو داوود والنسائى ..

فأجاب رحمه الله : « اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر .. لأن النبى ﷺ قال : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » ..

« وأنه لا يجوز دفن ميت فى مسجد ، فان كان فى المسجد قبل الدفن غير ، اما بتسوية القبر ، واما بنبشه ان كان جديدا .. وان كان المسجد بنى بعد القبر ، فاما أن يزال المسجد ، واما أن تزال صورة القبر .. فالمسجد الذى على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل ، فانه منهى عنه »[٤٣] .

ويقول الشوكانى : « الظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم .. وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعى ومالك ..

والقول بأنه غير محظور لوقوعه من السلف والخلف فلا نكير [كما قال الامام يحيى والمهدى فى الغيث] لا يصح .. لأن غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك .. والسكوت لا يكون دليلا اذا كان فى الأمور الظنية ، وتحريم رفع القبر ظن » ..

ويقول فضيلة الشيخ السيد سابق : « ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا : القباب والمشاهد المعمورة على القبور ، وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن رسول الله ﷺ فاعل ذلك .

« وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكى لها الاسلام .. منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار فى الأصنام ، وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر .. فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب .. وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم .. وشدوا اليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا !!

---

(٤٣) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، نشر دار المعرفة ببيروت ، ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧

« وبالجملة : أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام الا فعلوه .. فانا لله وانا اليه راجعون ..

« ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع .. لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف .. لا عالما ولا متعلما ، ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا !!

« وقد توارد الينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء المقبورين — أو أكثرهم — اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا .. فاذا قيل له بعد ذلك : بشيخك ومعتقدك الولى الفلانى .. تلعثم وأبى واعترف بالحق .. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : انه تعالى ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة » !! (٤٤)

ويقول ابن حجر فى « الزواجر » : « وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التى على القبور .. اذ هى أضر من مسجد الضرار ، لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى عن ذلك ، وأمر بهدم القبور المشرفة ، وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر .. ولا يصح وقفه ونذره » .

[ونحن لا نقول بقول الداعين الى هدم هذه المساجد — وهى تعد بالألوف — **« ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها »** [البقرة : ١١٤] ولكنا ندعو الى تطهيرها من جميع مظاهر الشرك ، وذلك بتبصير الناس بالعقائد السليمة التى قام الاسلام لتأصيلها ، عن طريق رجال الدعوة والارشاد من القائمين على أمر هذه المساجد نفسها لثقة الناس فيهم] .

وعن عبد الله البجلى قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « انى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل ،

---

(٤٤) فقه السنة ، للشيخ السيد سابق ، نشر دار التراث العربى ، جـ ١ ص ٤١٧ ، ٤١٨

فان الله عز وجل قد اتخذنى خليلا •• وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد •• ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن ذلك »(٤٥) •

وعن عائشـــة رضى الله عنها : أن أم حبيبة وأم ســـلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير •• فقال ﷺ : « ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصـــوروا فيه تلك الصـــور •• أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيـــامة »(٤٦) •

وعن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن رســـول الله ﷺ : « لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »(٤٧) •

وروى مسلم عن هارون أن ثمامة بن شفى حدثه قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس •• فتوفى صاحب لنا ••فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ، ثم قال : سمعت رســـول الله ﷺ يأمر بتسويتها ••

وعن أبى الهياج الأسدى قال : قال لى على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ : ألا أدع تمثالا الا طمسته ، ولا قبرا مشرفا الا سويته » ••

ويقول الترمذى : « والعمل على هذا عند بعض أهل العلم •• يكرهون أن يرفع القبر فوق الأرض الا بقـــدر ما يعرف أنه قبر ، لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه » ••

ويقول الشافعى : « وأحب ألا يزاد فى القبر ترابه من غيره •• وانما أحب أن يشخص على وجه الأرض شبرا أو نحوه •• وأحب أن لا يبنى ولا يجصص ، فان ذلك يشبه الزينة والخيلاء ، وليس الموت موضع واحد منهما •• ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة » ••

---

(٤٥) رواه مسلم .
(٤٦) رواه البخارى ومسلم .
(٤٧) رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن حبان .

ويقول صاحب « الدين الخالص » : « ... اتخاذ القبور التى لم تندرس مساجد حرام .. كما يحرم بناء المساجد على القبور .. ويجب هدم كل مسجد بنى على قبر ..

« وانما نهى النبى ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا .. خوفا من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به .. وربما أدى ذلك الى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ..

« ولما احتاجت الصحابة والتابعون رضى الله عنهم الى الزيادة فى مسجد رسول الله ﷺ ، حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة الى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، ومنها حجرة عائشة مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر ، بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر فى المسجد فيصلى اليه العوام ، ويؤدى الى المحظور ..

« ثم بنوا جدارين فى ركنى القبر الشماليين حرفوهما حتى التقيا فلا يتمكن أحد من استقبال القبر ..

« وقد حمل بعضهم الوعيد على من كان فى ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الأوثان ، وهو تقييد بلا دليل .. لأن التعظيم والافتتان لا يختصان بزمان دون زمان .. وقد يؤخذ من قوله ﷺ : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد » ، ومما روى ابن عباس قال : « لعن النبى ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » .. أن محل الذم على ذلك أن تتخذ المساجد على القبور بعد الدفن لا لو بنى المسجد أولا وجعل القبر فى جانبه يدفن فيه واقف المسجد أو غيره فليس بداخل فى ذلك ..

« قال العراقى : والظاهر أنه لا فرق .. وأنه اذا بنى المسجد لقصد أن يدفن فى بعضه فهو داخل فى اللعنة ، بل يحرم الدفن فى المسجد .. وان شرط أحد أن يدفن فيه لم يصح الشرط لأنه مخالف لمقتضى وقفه مسجدا .. وان قبر ميت فى مسجد وطال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته ، ويحرم دفن الميت فى المسجد ..

« قال النووى فى « المجموع » : وأما حفر القبر فى المسجد فحرام شديد التحريم »[٤٨] .

ويحدثنا فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى عن البدع التى نشأت عن اتخاذ المساجد فوق القبور .. فيقول : « ... هيهات أن يترك أهل البدع مكانا لا يدخلون فيه ببدعهم وظلمات أفكارهم .. حتى يهدروا الشريعة ، وحتى لا يبقى فى الدين الا اسمه !!

« ونسوق بعض البدع نراها عند القبور على أنها ليست من دين الله تطبيقا لحديث : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » ، وحديث : « أصحاب البدع .. كلاب أهل النار » ..

« من هذه البدع .. وضع الأضرحة والمقابر فى المساجد .. ورسول الله ﷺ يقول : « لعن الله اليهود والنصارى : اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ..

« وبناء المساجد على الأضرحة ألعن وأضل وأجرم .. فكأنها لم تبن لله ، بل لأجل من بداخل الضريح .. وقد قال ﷺ : « الأرض كلها مسجد الا المقبرة والحمام »[٤٩] .. وقال : « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها » .. ونرى فى هذا الكفاية ..

« وان من يتعمد الذهاب الى تلك المساجد ذات القبور .. انما يذهب من أجل وجود قبر من يذهب اليه فى المسجد .. فيكون قد دعا مع الله أحدا .. والله يقول : « **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** »[٥٠] .. حتى أنك ترى — فى هذه الأيام — مسجدين .. أحدهما ليس به قبر ، والآخر به قبر .. وقطعا الخالى من القبور هو الأولى بالصلاة فيه كحكم الشرع — كمسجد الأزهر مثلا — ولكنك تجد الناس يحجمون عن الصلاة فيه ويجتمعون على الصلاة فى المسجد

---

(٤٨) الدين الخالص ، مرجع سابق ، ج ٣ ص ٢٢٨ — ٢٣٠

(٤٩) رواه أحمد .. (٥٠) الجن : ١٨

ذى القبر .. بل ويفرشون الأرض بجواره تحت قيظ الشمس لأداء الصلاة ، ولا يذهبون الى المسجد الآخر !!

« ترى ما زعمهم فى هذا ؟ .. أالله أمرهم بأن يضعوا أنفسهم فى القيظ ويهجروا المسجد الآخر ؟ .. ولأى شىء ؟ !

« أم تراهم أهدى من محمد — ﷺ — وصحابته الذين لعنوا من فعل هـذا ؟ !

« ووقف الأموال على مقبرة ما ، أو وقف الأطيان باسم الرحمة أو قراءة القرآن بما هو معهود الآن .. أو اقامة الحيشان وغرس الأشـجار والصبار ووضع الرياحين .. من البدع التى يجهلها الكثير ، لأنه تعطيل وحبس للأموال لحساب الأموات على حساب الأحياء — وحتى وان كانوا غير ذى قربى منهم أولى !!

« أما وضع الجريد على القبر ، فقد كان خصوصية لرسول الله ﷺ .. فعلها مرة على قبرين لشخصين ، ولم يفعلها بعد ذلك لأحد ، ولم يقم أحد من الصحابة بفعلها ..

« وذكر العلماء .. أنها كانت مجرد شفاعة منه لدى الله لتخفيف العذاب عنهما ، وقبل الله رجاءه فيهما لمدة محدودة نص عليها فى الحديث « ما لم ييبسا » .. أى ما دامت الجريدتان خضراوين ..

« أما قراءة القرآن ، واستئجار المقرئين للتلاوة عند القبور ، وفى البيوت فى موضع خروج الروح ، وفى السرادقات ، فهذا عمل قد لا يقبله الله سبحانه وتعالى .. لأن هذا القارىء اذا لم يعلم أنه سيأخذ أجراً على قراءته ما قرأ .. فالقراءة ليست لله ولكنها للمال .. وهذا فضلا عن أنها عمل يقصد به غير وجه الله ..

« هذا بالنسبة للقارىء .. أما بالنسبة لمستأجر القارىء ، فمن أين له أن هذا العمل فى ميدان الدين ؟ .. وهل ثبت لديه أن الله يقبل هـذا العمل ؟

« علاوة على ما فى ذلك من التباهى والرياء والاسراف فى ضياع الوقت .. والحديث يقول : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ..

« واشترط الصلاح فى الولد .. لوصول ثواب الدعاء ، فكيف بحال القارىء الذى لا نعلم له ظاهرا ولا باطنا ؟ !

« واذا كنت مخلصا لهذا الميت .. فتعلم القرآن وتلاوته ، وصل الصلاة فى ميقاتها ، وصم شهرك من غير فسوق ، وأد حقوق ربك كلها وحقوق الخلق بالحسنى .. ثم ادع لمن شئت ، فانك مجاب باذن الله ..

« وعلى فرض أن القراءة صحيحة .. فان خديجة — رضى الله عنها — كانت أحب الناس لرسول الله ﷺ ، ومع هذا لم يفعل لها ذلك .. وحمزة عمه سيد الشهداء .. وسعد بن معاذ ، وكثير غيرهم .. لم يثبت أنه قرأ لهم قرآنا ، بل الثابت هو الدعاء ، والاستغفار ، والصدقة ، وأداء ما على الميت من زكاة أو حج أو صيام أو ديون أو عهود وعقود ..

« وغرس الأشجار فى القبور أو نصب الخيام عليها من البدع .. وقد رأى ابن عمر خيمة على قبر فسأل : لم ؟ قالوا : نظلله .. فقال : دعوه يظلله عمله .. أما غرس الأشجار فيلحق سابقه فى الحكم بالنسبة لوضع الجريد عليها ..

« ووضع الستور والكساوى والعمائم على الأضرحة من البدع .. وهو فضلا عن أنه اسراف ينهى عنه الشرع ، وزينة فى موطن العبرة .. فانه تعظيم للموتى لفتنة الأحياء .. والأحياء الفقراء أولى ألف مرة عن تجميد هذا المال .. علاوة على أن وضع الستور من الأمور المنهى عنها .. وقد روى البخارى عن عائشة قالت : « سترت الباب بنمط [أى ستارة أو بساط خامته من نسيج رفيع] ، وجاء النبى ﷺ فرآها فغضب وقال : « يا عائشة ، ان الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين » ..

« ومن البدع المنكرة فى المقابر : وضع الشموع عليها ، وزيارة النساء لها .. وفى الحديث : « لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين

عليها المساجد والسرج » .. لأن وضع النار على من فى القبور من أشد ما يتأذى به الميت ، حتى أن الفقهاء قرروا الا نضع فى القبر حجرا دخل النار دون ضرورة .. أما زيارة النساء للقبور .. وهى التى شرعت للرجال للعبرة — فكيف بامرأة تخرج الى المقبرة حيث يوجد الشباب والرجال ، فيفتتنون بها أو تفتن بهم ، وتخرج عن الاطار الاسلامى فى أهداف زيارة القبور بما تصنع من فتنة فى موضع العبرة ..

« أضف الى هذا .. أن بعض النساء ضعيفات القلوب ، فبمجرد وصولهن الى المقابر تراهن يلطمن الخدود ويصرخن ويشققن الجيوب ، ويدعين بدعوى الجاهلية .. والحديث يقول : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » ..

« وقد رأى رسول الله ﷺ ابنته فاطمة وقد عادت من خارج البيت .. فقال لها : « هل ذهبت معهن الى المقابر » ؟ قالت : لا يارسول الله ، وكيف أذهب وقد سمعت تشددك فيها ؟ ! فقال : « لو ذهبت معهن الى المقابر ما شممت ريح الجنة » ..

« وقد روى أبو داوود والترمذى حديث : « لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار » .. ولكنا نقول : ان مسئولية هؤلاء النسوة والفتيات اللاتى يتواجدن عند القبور لا تنحصر فيهن فقط ، بل تعم من ورائهن من الرجال أوليائهن الذين يسمحون بهذا العبث ..

« والطواف حول القبور وتسميتها حرما من البدع .. وعلى المسلم أن يعلم أن الطواف وقف على بيت الله الحرام فقط .. يقول تعالى : « **وليطوفوا بالبيت العتيق** »(٥١) .. ولا يصح الطواف حول غيره من الأضرحة تشبيها منهم لهذه الأضرحة بقبلة رب العالمين ..

« فكأن الطائف بقبر ولى أو غيره يقول : ان لى قبلتين وحرمين .. قبلة وحرما اختارهما الله ، وقبلة وحرما اخترتهما أنا — نعوذ بالله من ذلك — وقد تعددت لديهم الحرم .. فضموا « الحرم الزينبى » ،

---

(٥١) الحج : ٢٩

و « الحرم الأحمدى » ، و « الحرم الحسينى » ، و « الحرم الغريبى » ، و « حرم الشافعى » ، و «حرم القنائى » .. الخ !!

« أضف الى ذلك .. أن الشيطان انما استزل هؤلاء الطائفين لغرض ما فى نفسه سينفذه بعد سنين ، ليبعد الناس تماما عن كعبة الله الأصلية .. أى أنه اذا كان الطائف بقبر ما — الآن — يعلم أن قبلته هى الكعبة ، فسيأتى يوم على فعلته هذه أن تكون طوافا دون الكعبة !!

« فعلى المتحرى لدينه والغيور عليه أن يتقى الله ربه ، ولا يعطى للشيطان أغلالا يحبس بها أتباعه ، وخاصة وقد ألفوا أحاديث مكذوبة بأن زيارة ضريح فلان الولى ثلاث مرات تعدل حجة تامة !! .. وصدق الحديث الشريف : « ما أحدث الناس بدعة ، الا رفع من السنة مثلها » !!

« ومن أفظع البدع : الخشوع للميت عند زيارته والاستئذان منه للدخول عليه !! ، وكل هذا من عبادة وتعظيم غير الله ..

« وقد يحلف أحدهم بالله خمسين مرة كذبا دون مبالاة ، ولكنك لو أردت اختباره وطلبت منه الحلف بصاحب الضريح فزع وخاف من سوء العاقبة التى يزعم أنها ستحل به من الولى : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله »**(٥٢) .

« ويقول تعالى فى آية أخرى : **« يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية »**(٥٣) .

« وقد لا يستطيع أحدهم أن يقدم على عمل ما — مهما دللناه على الاستخارة الشرعية والاستشارة الدينية — الا بعد أن يمنحه شيخه سادن الضريح اذنا بالعمل مهما كانت النتيجة .. فجعلوهم بمنزلة الأحبار والرهبان الذين يدعون أن ما يحلونه هم فى الأرض يحله الله فى السماء ، وما يحرمونه يحرمه الله !! **« سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا »**(٥٤) .

---

(٥٢) البقرة : ١٦٥ (٥٣) النساء : ٧٧

(٥٤) الاسراء : ٤٣

« ومن هذه البدع الضالة : التقبيل والاستلام للأضرحة وتقبيل أعتابها !! .. هـذا كله من الشرك والتعلق بالمـاديات على حسـاب الروحانيات ، وقد يحتج من يفعـل ذلك باستلام رسـول الله ﷺ للحجر الأسـود !!

« وفي هذا أيضا نقول : أن هذه خصوصية للحجر الأسود فقط .. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « والله اني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » .. أترى هؤلاء الذين يقبلون الأضرحه والاعتاب .. اهدى من عمر بن الخطاب وأشد تحققا منه في دين الله ودرجات الايمان ؟..!

« ما هو الا الشيطان أراد أن يصدهم عن توحيد الله وافراده بالعبادة .. واني لأعجب من هؤلاء الذين يقبلون الأعتاب والأخشاب ، ويظنون أنهم على الهدى ، بل وتراهم من أشد المتحمسين لأفعالهم .. وما أرى ذلك الا من حمية الشيطان للدفاع عن عادات وثنية هدمها الاسلام ويحييها هؤلاء .. واني أسأل أحدهم : هل ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه قبل قبر رسـول الله ﷺ ؟ .. أو هل قبل عمر قبر رسـول الله ﷺ وقبر أبي بكر ؟ !

« فانه اذا كان التمسح محمودا ، والتقبيل يورث البركات .. فلا شك في أن تقبيل قبر رسول الله ﷺ فيه أعظم البركات .. ولكن هل يجدي هذا في عقول قد تبلدت وران على قلوب أصحابها عادات مبتدعة ، وقيم هدمها الاسلام ؟ !

« وتقديم العرائض والشكاوى للأولياء من البدع الشاذة .. والله يعلم أن من مات فهو في شـغل شـاغل بآخرته حيث قال : « **والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير** »(٥٥) .

[أي الذين تدعونهم من دون ربكم ما يملكون قشر النواة] .

---

(٥٥) فاطر : ١٣

ويقول تعالى : « **ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم** »(٥٦) .

[أى ان تدعوا هؤلاء الناس لا يسمعوا دعاءكم .. ولو سمعوا دعاءكم وفهموا قولكم بأن جعل لهم سمع يسمعون به بعد أن ماتوا ما استجابوا لكم لأنهم لا يستطيعون النطق .. ويوم القيامة يتبرأون من عبادتكم اياهم بعد أن جعلتموهم شركاء لله بتوجيه الدعاء اليهم] .

ويقول جل شأنه : « **ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** »(٥٧) .

[أى : من أضل ممن يدعو حجرا أو خشبا أو ميتا ويجعلهم آلهة — بتوجيه الدعاء اليهم — وهم لا يستجيبون دعاءه أبدا الى يوم القيامة ؟ ! ، انهم يدعونهم ولكنهم فى غفلة عن دعائهم واستغاثتهم بهم عند المصائب ، لأنهم — بعد أن ماتوا — لا يسمعون ولا ينطقون ولا يعقلون .. وسيكونون عندما يحشر الناس يوم القيامة بين يدى ربهم للحساب أعداء لهم .. لأنهم سوف يتبرأون منهم ويجحدون بعبادتهم اياهم .. وسيقولون : ياربنا ، ما أمرناهم بعبادتنا واننا نتبرأ اليك منهم .. وتأمل كيف وصف تعالى الدعاء فى هذه الآية بأنه عبادة .. فالدعاء هو مخ العبادة] ..

ويقول جل وعلا : « **ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا** »(٥٨) .

[أى ادعوا الذين تدعونهم .. انهم لا يقدرون عن دفع الضر عنكم أو تحويله الى غيركم .. وانما يقدر على ذلك الله وحده ، الذى له الخلق والأمر] ..

ثم يقول فضيلته :

« والجلوس على المقابر أو وطؤها من البدع .. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وحذر حيث قال : « لأن يجلس أحدكم على جمرة

---

(٥٦) فاطر : ١٤ (٥٧) الأحقاف : ٥ ، ٦

(٥٨) الاسراء : ٥٦

فتخلص الى ثيابه ثم تخلص الى بدنه فتحرقه ، أهون من أن يجلس على قبر »[٥٩] .. وكما أن الجلوس على القبر منهى عنه ، كذلك الاتكاء والاستناد حيث قال عمر بن حزم : « رآنى رسول الله ﷺ متكئاً على قبر فقال : « لا تؤذ صاحب القبر » ..

« ومن أشد هذه البدع : التبول والتغوط عليها والتقذير لها .. فان لها حرمة ، وقد روى أحمد ومسلم حديث : « زوروا المقابر فانها تذكر الموت والآخرة » .. وزاد أحمد : « فان فيها عبرة » .. فكيف يكون موطن العبرة مقذرا أو مكانا للنجاسات ؟ ! .. وهل يرضى أحد ممن يفعلون ذلك أن يضع أحد على قبره ما تأنف الانس والملائكة منه ، ولا ترضاه الا الكفرة من الجن » ا هـ [٦٠] .

* * *

وللشيخ محمد الغزالى — جزاه الله عن المسلمين خيرا :

« فشا فى بلاد كثيرة بناء المساجد على قبور الموتى ، اعزازاً لذكراهم ، وتقربا الى الله — كما يقال — بمحبتهم ومجاورتهم !! ، مع أن النصوص قاطعة بمنع هذا العمل ولعن مرتكبيه .. وكان أولى بهؤلاء البانين أن يدعوا الموتى الى ما قدموا ، وأن يقفوا عند حدود الله فلا يعصون وصاياه .

« وهذه البدعة .. تسربت الى المسلمين من النصرانية بعد تحريفها .. فقد صح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها « مارية » ، وذكرت ما رأته فيها .. فقال رسول الله ﷺ : « أولئك قوم اذا مات منهم العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور .. أولئك شرار الخلق عند الله » .

« وهذه البدعة .. دخلت النصرانية من الوثنية الأولى .. فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس وغيره من السلف : أن «ودا» و «سواعا»

---

(٥٩) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

(٦٠) انظر كتاب « هذه دعوتنا » ، للشيخ عبد اللطيف مشتهرى — نشر دار الاعتصام ، ص ١٩٣ — ٢٠٦ بتصرف .

وأخواتهما ، كانوا قوما صالحين من أمة نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم .. ثم صوروا تماثيلهم .. ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، فكان ذلك مبدأ عبادة الأصنام .

« واغلاقا لباب الفتنة وسدا لذرائع الفساد .. شدد النبى عليه الصلاة والسلام على المسلمين فى حظر هذا المسلك ، وعزم عليهم أن ينفضوا أيديهم من الموتى ، وأن يستقبلوا الحياة بجهدهم وعزمهم ، دون تعويل على صالح مات أو بقى ..

« فالانسان لا يجدى عليه — أمام ربه — الا صالح عمله ..

« وفى هذا الارشاد المبين .. يقول ﷺ : « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها » .. ويقول : « الأرض كلها مسجد الا المقبرة والحمام » .. ويقول : « لعن الله اليهود والنصارى : اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ألا لا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن هذا » ..

« وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » ..

« ونهى رسول الله عن تجصيص القبور والبناء عليها .. وكان يوصى جيوشه — وهو يطارد الوثنية فى جزيرة العرب — ألا تدع صنما الا طمسته ، ولا قبرا مشرفا الا سويته ..

« وعن المعرور بن سويد قال : « صليت مع عمر بن الخطاب — فى طريق مكة — صلاة الصبح فقرأ فيها : « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** » و « **لايلاف قريش** » .. ثم رأى الناس يذهبون مذاهب بعد انصرافهم من الصلاة ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ ، فقيل : ياأمير المؤمنين ، مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فهم يصلون فيه .. فقال : « انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا .. فمن أدركته الصلاة فى هذه المساجد فليصل ، ومن لا فليمض ولا يتعمدها » ..

« وقد دعا رسول الله ﷺ ربه : « ألا يكون قبره بعده عيداً » — أى موسما تلتقى اليه الوفود ..

« والخبراء بحقائق الأديان وطبائع النفوس يعرفون وجه الحكمة فيما أمر به الله ورسوله من تحريم اتخاذ القبور مساجد ..

« ان رجاء البركة أول ما يذكره الخارجون على هذه النصوص والمحرفون لها .. لكن هذه البركة المزعومة سرعان ما تتحول الى تقديس للهالكين واتجاه اليهم بالأدعية والنذور .. واستصراخ بهم فى الأزمات والنوائب .. فاذا لم يكن الأمر شركا محضا ، فهو مزلقة اليه مهما كابر المعاندون ..

« وقد رأيت عشرات من الظلامات المكتوبة ترمى فى ضريح الامام الشافعى .. أو ترسل اليه بالبريد !! .. وسمعت المئات من سفهاء العامة ، يلهثون بالنجوى الحارة حول قبر الامام الحسين وغيره !!

« ولم أر أسفه من هؤلاء وأولئك الا الذين يعتذرون عنهم من صعاليك المتصوفة ، وأدعياء المعرفة ..

« على أن علاج هذه المناكر المبتدعة ، لا سبيل اليه الا باشاعة العلم والخلق ، وتهذيب العقول والطباع .. فان النبى صلوات الله وسلامه عليه لم يهدم الأصنام الا بعد أن مكث عشرين عاما يكون الأمة التى تؤمن بالله وتكفر بالطواغيت »[٦١] .

* * *

ويرد فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى[٦٢] على زعم البعض بأن المنع من اتخاذ القبور مساجد ، انما كان لعلة خشية الافتتان بالمقبور ، ثم زالت برسوخ التوحيد فى قلوب المؤمنين ، فزال المنع ، فيقول :

« لا أعلم أحدا من العلماء ذهب الى القول بهذه الشبهة ، الا مؤلف « احياء القبور » .. فانه تمسك بها وجعلها عمدته فى رد تلك

---

(٦١) ليس من الاسلام ، للشيخ محمد الغزالى ، نشر دار الكتب الاسلامية ، ص ٢٠٧ — ٢٠٩

(٦٢) فى كتابه : « تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، نشر المكتب الاسلامى ببيروت ، ص ١٢١ وما بعدها .

الأحاديث المتقدمة واتفاق الأئمة عليها .. فقال ما نصه : « وأما النهى عن بناء المساجد على القبور ، فاتفقوا على تعليله بعلتين :

« احداهما : أنه يؤدى الى تنجيس المسجد ..

« وثانيهما — وهو قول الأكثرين بل الجميع حتى من نص على العلة السابقة — أن ذلك قد يؤدى الى الضلال والفتنة بالقبر ، لأنه اذا وقع بالمسجد ، وكان قبر ولى مشهور بالخير والصلاح ، لا يؤمن مع طول المدة أن يزيد اعتقاد الجهلة فيه ، ويؤدى بهم فرط التعظيم الى قصد الصلاة اليه ، اذا كان فى قبلة المسجد ، فيؤدى بهم ذلك الى الكفر والاشراك » ..

« ثم ساق شيئا من النقول فى العلة المذكورة عن بعض العلماء ، منهم الامام الشافعى — [حيث يقول[٦٣] ما نصه : « وأكره أن يبنى على القبر مسجد ، وأن يسوى ، أو يصلى عليه ، وهو غير مسوى — يعنى أنه ظاهر معروف — أو يصلى اليه .. قال : وان صلى اليه أجزأه وقد أساء ، أخبرنا مالك أن رسول الله ﷺ قال : « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قال : وأكره هذا للسنة والآثار ، وأنه كره — والله تعالى أعلم — أن يعظم أحد من المسلمين ، يعنى يتخذ قبره مسجدا ، ولم تؤمن فى ذلك الفتنة والضلال على ما يأتى بعده »] — ثم قال المؤلف المشار اليه : « فالعلة المذكورة قد انتفت برسوخ الايمان فى نفوس المؤمنين ، ونشأهم على التوحيد الخالص ، واعتقاد نفى الشريك مع الله تعالى ، وأنه سبحانه المنفرد بالخلق والايجاد والتصريف .. وبانتفاء العلة ينتفى الحكم المترتب عليها ، وهو كراهة اتخاذ المساجد والقباب على قبور الأولياء والصالحين » !![٦٤]

---

(٦٣) فى كتابه « الأم » .

(٦٤) احياء القبور من أدلة بناء المساجد والقباب على القبور ، لأحمد الصديق الغمارى — ص ١٧ ، ١٩ (مشار اليه بهامش « تحذير الساجد » للألبانى .

يقول الألبانى : « والجواب : أن يقال أثبت العرش ثم انقش !! ..
أثبت أولا أن الخشية المذكورة هى وحدها علة النهى ، ثم أثبت أنها قد انتفت ، ودون ذلك خرط القتاد .

« أما الأول : فانه لا دليل مطلقا على أن العلة هى الخشية المذكورة فقط .. نعم من الممكن أن يقال : انها بعض العلة ، وأما حصرها فباطل .. لأن من الممكن أيضا أن يضاف اليها أمور أخرى معقولة كالتشبه بالنصارى .... وكالاسراف فى صرف المال فيما لا فائدة فيه شرعا .. وغير ذلك مما قد يبدو للباحث الناقد ..

« وأما ما زعمه أن العلة انتفت برسوخ الايمان فى نفوس المؤمنين ... الخ ، فهو زعم باطل أيضا وبيانه من وجوه :

« الأول : أن الزعم بنى على أصل باطل ، وهو أن الايمان بأن الله هو المنفرد بالخلق والايجاد كاف فى تحقيق الايمان المنجى عند الله تبارك وتعالى .. وليس كذلك .. فان هذا التوحيد وهو المعروف عند العلماء بتوحيد الربوبية ، كان يؤمن به المشركون الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ كما قال تعالى : « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** »[٦٥] ، ومع ذلك فلم ينفعهم هذا التوحيد شيئا ، لأنهم كفروا بتوحيد الألوهية والعبادة ، وأنكروه على النبى ﷺ أشد الانكار ، لقولهم فيما حكاه الله عنهم : « **أجعل الآلهة الها واحدا ، ان هذا لشىء عجاب** »[٦٦] . ومن مقتضيات هذا التوحيد الذى أنكروه ترك الاستغاثة والاستعانة بغير الله ، وترك الدعاء والذبح لغير الله ، وغير ذلك مما هو خاص بالله تعالى من العبادات .. فمن جعل شيئا من ذلك لغير الله تبارك وتعالى فقد أشرك به ، وجعل له ندا ، وان شهد له بتوحيد الربوبية ، فالايمان المنجى انما هو الجمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وافراد الله بذلك ....

« فاذا تبين هذا ، تعلم أن الايمان الصحيح غير راسخ فى نفوس كثير من المؤمنين بتوحيد الربوبية » ..

---

(٦٥) لقمان : ٢٥ (٦٦) سورة ص : ٥

ويسوق فضيلة الشيخ الألبانى الدليل على كلامه من أقوال الصوفية أنفسهم فينقل عن مؤلف كتاب « احياء القبور » قوله : « ونراهم — يعنى العـامة — يحلفون بالأولياء ، وينطقون فى حقهم بما ظاهره الكفر الصراح بل هو الكفر حقيقة بلا ريب ولا شك .. فكثير من جهلة العوام بالمغرب ينطق بما هو كفر صراح فى حق مولانا عبـد القادر الجيلانى رضى الله عنه ، فان عندنا بالمغرب من يقول عن القطب الأكبر ، مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه : أنه الذى خلق الدين والدنيـا ! .. ومنهم من قال — والمطر نازل بشـدة — : يامولانا عبد السلام الطف بعبادك ! .. فهذا كفر » !! (٦٧)

ثم يقول الشـيخ الألبانى : « قلت : فهذا الكفر أشد من كفر المشركين ، لأن هذا فيه التصريح بالشرك فى توحيد الربوبية أيضا ، وهو مما لا نعلم أنه وقع من المشركين أنفسهم ! .. وأما الشرك فى الألوهية فهو أكثر فى جهال هذه الأمة — ولا أقول عوامهم — فاذا كان هذا حال المسـلمين اليوم ، وقبل اليوم ، فكيف يقول هذا الرجل : « وقد انتفت العلة برسوخ الايمان فى نفوس المؤمنين » ؟ !

« واذا كان يريد بـ « المؤمنين » الصحابة رضى الله عنهم .. فلا شك أنهم كانوا مؤمنين حقا .. عالمين بحقيقة التوحيد الذى جاءهم به رسـول الله ﷺ ، ولكن الشريعة الاسـلامية شريعة عامة أبدية ، فلا يلزم من انتفاء العلة — لو ثبت — بالنسبة اليهم أن ينتفى الحكم بالنسبة لمن بعدهم ، لأن العلة لا تزال قائمة ، والواقع أصدق شاهد على ذلك ..

« الوجه الثانى : علمت مما سبق من الأحاديث .. أن النبى ﷺ حذر أمته من اتخاذ المساجد على القبور فى آخر حياته .. بل فى مرض موته .. فمتى زالت العلة التى ذكرها ؟ ..

« ان قيل : زالت عقب وفاته ﷺ ، فهذا نقض لمـا عليه جميع

---

(٦٧) احياء القبور ، مرجع سابق ص ٢١ ، ٢٢

المسلمين أن خير الناس قرنه ﷺ ، لأن القول بذلك يستلزم — بناء على ما سبق من كلامه — أن الايمان لم يكن قد رسخ بعد فى نفوس الصحابة رضى الله عنهم ، وانما رسخ بعد وفاته ﷺ ! . ولذلك لم تزل العلة وبقى الحكم .. وهذا مما لا أتصور أحدا يقول به لوضوح بطلانه ..

« وان قيل : زالت قبل وفاته ﷺ ، قلنا : وكيف ذلك وهو ﷺ انما نهى عن ذلك فى آخر نفس من حياته ﷺ ؟ ! .. ويؤيده :

« الوجه الثالث : أن فى بعض الأحاديث المتقدمة باستمرار الحكم الى قيام الساعة [كالحديث الذى رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد »][٦٨] .

« الوجه الرابع : أن الصحابة رضى الله عنهم انما دفنوه فى حجرته ﷺ خشية أن يتخذ قبره مسجدا .. كما تقدم عن عائشة رضى الله عنها [فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم قالت : ان رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقى على وجهه طرف خميصة[٦٩] له ، فاذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .. تقول عائشة : « يحذر مثل الذى صنعوه » — يقول ابن حجر : « وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى ، فلعن اليهود والنصارى اشارة الى ذم من يفعل فعلهم »] .

يقول الألبانى : « فهذه الخشية اما أن يقال : انها كانت منصبة على الصحابة أنفسهم ، أو على من بعدهم .. فان قيل بالأول ، قلنا : فالخشية على من بعدهم أولى ، وان قيل بالثانى — وهو الصواب عندنا — فهو دليل قاطع على أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا لا يرون

---

(٦٨) رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، وابن حبان ، وابن أبى شيبة فى المصنف ، وأحمد ، والطبرانى وأبو يعلى وأبو نعيم .

(٦٩) ثوب خز أو صوف معلم كما فى النهاية .

زوال العلة المستلزم زاول الحكم ، لا فى عصرهم ، ولا فيما بعدهم ، فالزعم بخلاف رأيهم ضلال مبين •• ويؤيده :

« الوجه الخامس : أن العمل استمر من السلف على هذا الحكم ونحوه ، مما يستلزم بقاء العلة السابقة ، وهى خشية الوقوع فى الفتنة والضلال ، فلو أن العلة المشار اليها كانت منتفية لما استمرالعمل على معلولها •• وهـذا بين لا يخفى والحمد لله ، واليك بعض الأمثلة على ما ذكرنا ••• »[٧٠] اهـ

وبعد أن يسوق فضيلته بعض الأمثلة من فعل السلف الصالح •• يقـول :

« واعلم أن هذه الآثار ، وان اختلفت دلالاتها •• فهى متفقة على النهى فى الجملة عن كل ما ينبنى عن تعظيم القبور تعظيما يخشى منه الوقوع فى الفتنة والضلال ، مثل بناء المساجد والقباب على القبور وضرب الخيام عليهـا ، ورفعها أكثر من الحد المشروع ، والسـفر والاختلاف اليها[٧١] ، والتمسح بهـا ، ومثل التبرك بآثار الأنبياء ونحـو ذلك ••

« فهذه الأمور كلها غير مشروعة عند السلف الذين سميناهم من الصحابة وغيرهم •• وذلك يدل على أنهم كانوا جميعا يرون بقاء علة النهى عن بناء المساجد على القبور وتعظيمها بما لم يشرع ، ألا وهى خشية الضلال والافتتان بالموتى — كما نص عليها الشافعى رحمه الله فيما سبق — بدليل استمرارهم على القول بالحكم المعلول بهذه العلة ، فان بقاء أحدهما يستلزم بقاء الآخر ، كما لا يخفى ، وهذا بالنسـبة لمن نص منهم على كراهة بناء المساجد على القبور ظاهر ••

أما الذين صرحوا بالنهى عن غير ذلك ، مثل رفع القبر وضرب

---

(٧٠) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد — مرجع سابق — ص ١٢٠ — ١٢٩ بتصرف .

(٧١) أى اكثار التردد لزيارتها .

الخيمة عليه ونحوه — مما أجملنا الكلام عليه آنفا — فهم يقولون ببقاء الحكم المذكور من باب أولى ، وذلك لوجهين :

« الأول : أن بناء المساجد على القبور أشد جرما من رفع القبور وضرب الخيام عليها ، لما ورد من اللعن على البناء ، دون الرفع والضرب المذكور .

« والثانى : أن المفروض فى أولئك السلف الفهم والعلم ، فاذا ثبت عن أحد منهم النهى عن شىء هو دون ما نهى عنه الشارع ، ولم ينقل هذا النهى عن أحدهم ، فنحن نقطع بأنه ينهى عنه أيضا ، حتى ولو فرض عدم بلوغ النهى اليه لأن نهيه عما هو دون هذا يستلزم النهى عنه من باب أولى ، كما لا يخفى .

فثبت أن القول بانتفاء العلة المذكورة ، وما بنى عليه كله ، باطل .. لمخالفته نهج السلف الصالح رضى الله عنهم ، مع مصادمته للأحاديث الصحيحة ، والله المستعان »[٧٢] ! هـ

ونقول : لعل ذلك البعض الذى يزعم بأن المنع من اتخاذ القبور مساجد « انما كان لعلة خشية الافتتان بالقبور ، ثم زالت برسوخ التوحيد فى قلوب المؤمنين » .. لعل ذلك البعض تد وجد الرد على زعمه فيما نقلناه عن الشيخ ناصر الدين الألبانى — جزاه الله عن الاسلام خيرا ..

* * *

● **بدعة الموالد :**

من البدع المرذولة التى نهى عنها الرسول ﷺ : اتخاذ مقابر الأولياء والصالحين موسما وعيدا ، ومبيتا وملعبا للأطفال ، وسوقا للبيع والشراء فى عطلات الأسبوع « الجمعة » .. وفى المواسم كطلعة رجب والأعياد .. بل تجد عند أضرحة أهل بيت الرسول ﷺ — اذا صح

---

(٧٢) المرجع السابق ص ١٤٤ — ١٤٦

وجودهم بها — تجد الناس وقد أسموها حرما ، وقد جعلوا لكل ولى ليلة فيها تقام حضرته !!

أضف الى ذلك تبرج النسوة والصخب والشرك بسؤال الموتى ما لا يقدر عليه الا الله تعالى .. والاختلاط والخلوة المحرمة فى مواطن العبرة والخشية والرعدة من رهبة الموت !!

ويقول بعض الصالحين : « اذا رأيتم أحداً يأكل عند المقابر أو يضحك ، فاعلموا أنه مطموس القلب ، بعيد عن رحمة الله .. لأنه عبث فى موطن الخوف » ..

وقد روى غير واحد حديث : « ان الله يكره لكم ثلاث : العبث فى الصلاة ، والرفث فى الصيام ، والضحك عند المقابر » ..

* * *

● **مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاحتفال به :**

يقول الدكتور عزت عطية : « لا خلاف بين العلماء فى أن الاحتفال بيوم المولد عمل محدث ، لم يعهد فى عصر الرسول ﷺ ولا فى عصر أصحابه أو التابعين لهم باحسان ، قال السخاوى : « ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة » ..

وأول من أحدثه بالقاهرة « المعز لدين الله الفاطمى » سنة ٣٦٢ هـ ، ودام الاحتفال الى أن أبطله الأفضل أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٨ هـ فى عهد « المستعلى بالله » ، ولما ولى الخلافة « الآمر بأحكام الله » ابن المستعلى أعاد الاحتفال فى سنة ٤٩٥ هـ .

وأول من أحدث هذا الاحتفال بـ « اربل » الملك المظفر أبو سعيد ، فى القرن السادس أو السابع ، وألف له الحافظ أبو خطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية الكلبى سنة ٦٤٤ هـ كتابا سماه « التنوير فى مولد البشير النذير » حسن فيه الاحتفال وأقام على ذلك وجوه الاستدلال ..

وهكذا وجد الاحتفال بهذه المناسبة الكريمة ، وتطورت مظاهره حتى وصلت الى ما هى عليه الآن ..

وقد اختلف موقف العلماء فى الاحتفال بيوم المولد ، فالبعض أجرى عليه أدلة ذم البدع باعتبار حدوثه وترك النبى ﷺ ومن بعده من السلف له .. هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى : لأنه تخصيص بغير مخصص ، وقد ورد النهى عن مثله ، فقد نهى النبى ﷺ تخصيص يوم الجمعة بصيام ، واولا أن المفسدة انما تنشأ من تخصيص ما لا خصوصية له — كما فى الاحتفال بالمولد — لما نهى عنه ، فان الناس انما يخصون هذا اليوم بالاحتفال لاعتقادهم فيه فضيلة تقتضى ذلك ولا فضيلة فيه ، فأقل أحوال هذا الاحتفال — فى نظر الشرع — أن يكون مكروها ..

على أن الواجب على الناس فى نظرهم الى الأيام من ناحية التشريف والتكريم ، وتخصيص بعضها بالعبادة أو الاحتفال به دون البعض الآخر اتباع الكتاب والسنة ، وان لم يدركوا ما فى ذلك من المصلحة أو المفسدة »(٧٣) ..

ومن أشهر هؤلاء المانعين : تاج الدين عمر بن على اللخمى السكندرى المالكى المعروف بالفاكهانى .. الذى رد هذا الاحتفال وقال بمنعه ، لأنه لا يعلم له أصلا فى كتاب ولا سنة ، ولا نقل عن أحد من علماء الدين ، وانتهى بذلك الى الحكم أن الرجل اذا احتفل بالمولد من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله لا يتجاوز فى ذلك الاجتماع على أكل الطعام ، ولا يقترفون شيئا من الآثام .. كان هذا الاحتفال بدعة مكروهة وشفاعة مذمومة ، لأنه محدث لا أساس له من الشريعة ، فاذا ما ضم الاحتفال الى ذلك اجتماعا بين غرباء ، واقتضى بذل المال أو نحوه كرها أو على استحياء .. وصاحبه شىء من الفتن كالطبول والدفوف ، واجتماع الرجال مع النساء ، أو نحو ذلك ، فلا خلاف فى حرمته ..

والفاكهانى يوافق فيما ذكره ابن تيمية والشاطبى ومن نحا نحوهما

---

(٧٣) البدعة : تحديدها وموقف الاسلام منها — مرجع سابق . ص ٤٨١ ، ٤٨٢

ممن يرى أن ما تركه الرسول ﷺ مع قيام المقتضى له لا يجوز احداثه من البدع ، والمولد عنده من هذا القبيل[٧٤] .

وفى مقابل هذا الاتجاه .. هناك اتجاه آخر يرى اباحة هـذا الاحتفال ، بل ويحبذ القيام به ويستحسنه ، ويمثل هـذا الاتجاه السيوطى .. حيث يرى أن ما حكم الفاكهانى بكراهته ليس كما قال ، بل هو من الاحسان الذى لم يعهد فى العصر الأول ، فان اطعام الطعام الخالى من اقتراف الآثام من البدع المندوبة كما صرح بذلك العز بن عبد السلام فى قواعده ..

وأما ما وصفه الفاكهانى بأنه حرام فحرمته ليست لنفس الاحتفال باليوم وتعظيمه واظهار شعار المولد ، وانما لمـا انضم اليه ، ولو وقع بعض هذه الأمور فى الاجتماع لصلاة الجمعة لكان قبيحا شنيعا .. ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاتها كما هو واضح[٧٥] ..

ويرى ابن حجر .. أن الاحتفال بالمولد بدعة اشتملت على محاسن وضدها .. فمن تحرى فى عمـله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة والا فلا[٧٦] ..

أما ابن الحاج .. فقد كان موفقا فى توصله الى دليل على تخصيص هذا اليوم باستحباب عبادة خاصة فيه ، اظهارا للسرور بالمولد ، وشكرا لله على ما أكرم به من هذا الميلاد ، ألا وهو تعليل الرسول ﷺ استحباب صوم يوم الاثنين بقوله : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت أو أنزل على فيه »[٧٧] .. وبهـذا الاستدلال رد القول بأن هذا الاحتفال تخصيص لهذا اليوم بغير مخصص .. حيث ثبت لهذا التخصيص أصل من السنة .. أما عن القول بحدوث هذا الاحتفال وترك الرسول ﷺ ومن بعده من السلف له فذاك راجع — فيما يرى ابن الحاج — الى رحمة

---

(٧٤) المرجع السابق ص ٤٨٢ ، ٤٨٣

(٧٥) المرجع نفسه ص ٤٨٣ (٧٦) نفس المرجع ص ٤٨٣

(٧٧) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٨ ص ٥٢

النبى ﷺ بأمته ، ورفقه بهم حيث كان يترك العمل خشية أن يفرض على أمته[٧٨] ..

ونحن — نتفق مع الدكتور عزت — فى جواز الاحتفال بيوم المولد فى صورة شخصية أو أسرية بل فى استحباب هذا الاحتفال .. فليس الاحتفال بهذه المناسبة الكريمة من البدع ، لأنه لم يقترن به ادعاء ورود الشرع به ، أو حثه على هذا التخصيص ، أو نسبة ما ليس من الشرع فى هذا المجال اليه ..

وعلى ذلك — كما يقول الدكتور عزت — « فهذا الاحتفال ليس مما تحقق فيه تعريف البدعة على أى اتجاه من الاتجاهات فى تعريف البدعة لثبوت أصله من السنة وتوارد الأدلة المؤيدة لوقوعه ..

« أما عما يعمل فيه ، أو كيفية ممارسته ، فذلك مشروط بأن يقتصر فيه على ما يفيد الشكر لله تعالى ، من التلاوة ، والاطعام ، والصدقة ، وانشاء شىء من الأشعار فى المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب الى فعل الخير والعمل للآخرة .. وهذا مقيد بأن لا يشغل عن فرض أو يعطل عن طاعة أو يسوق الى ارهاق من كثرة السهر .. لأن الغرض تحصيل السرور عن طريق مشروع ، واظهار الشكر لله تعالى على أى وجـــه ..

« أما كشف العورات ، والاختلاط الذرى ، والألعـــاب الملهية المشتملة على فنون النصب والاحتيال .. فيجب تجريد ذكرى المولد من كل ذلك على أى حال »[٧٩] .

* * *

ويصف لنا الجبرتى الفساد الذى كان يحدث على عهده فى الموالد .. فيقول فى وصفه لمولد العفيفى : « ينصبون خياما كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوى ، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس ، وخواصهم وعوامهم ، وفلاحى الأرياف وأرباب المسلاهى والملاعيب ، والغوازى

---

(٧٨) البدعة ، ص ٤٨٥

(٧٩) المرجع السابق ، ص ٤٨٧ ، ٤٨٨

والبغايا والقرادين والحواة ، فيملأون الصحراء والبستان ، فيطئون القبور ، ويتعوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ، ويضربون بالطبول والزمور ليلا ونهارا .. ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ، ويقتدى بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير انكار ، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة ، ولو لم يكن ذلك لأنكره العلماء ، فضلا عن كونهم يفعلونه ، فالله يتولى هدانا أجمعين »(٨٠) .

ويقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل : « ودعوى حبهم — أى الصوفية — للرسول وآل بيته دعوى الرجس أنه قداسة ، والاثم الكبير أنه روحانية فضيلة !! وكتلك الفرية افتراء الشيعة أنهم أحباء آل بيت محمد — ﷺ — أترى الشيعة والصوفية : اتبعوا الرسول وجعلوه وحده الأسوة والقدوة الحسنة ؟ !

« ما ثم ما يحتجون به لدعواهم سوى العكوف على الأضرحة الذنيمة المفتراة لآل البيت ! سوى تلك القباب التى شيدوها معبودة على عظام نخرة .. لا تدرى أهى لحيوان أم انسان ، أم هى أمشاج من عظام شتى ، لا تدرى أهى لصالح أم طالح ، لمسلم أم يهودى .. فقد شيدتها الفاطمية فى مصر ، لتصرف الناس عن حج بيت الله ، ولتجعل قلوب المسلمين نفسها قبورا خربة .. ثم سمتها بأسماء آل البيت ، وأقامت على سدانتها وعبادتها الصوفية !

« ما لهم من دليل على حبهم لآل البيت سوى عبادة تلك الأصنام بتقبيل أستارها وأحجارها ولثم نحاسها وخشبها ، وتعطير أجوائها والاستشفاع بأعتابها ، واقتراف الأعياد الوثنية فى كل موسم لها ..

« وسل الأمين تلك « الموالد » عن عربدة الشيطان فى باحاتها ، وعن الاثم المهتوك فى حاناتها وعن حمم الشهوات التى تتفجر تحت سود ليلاتها !!

« وهكذا تكد الصوفية فى سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة ، قفراء الا من الوحشة ، جرداء الا من الرهبة والفزع ، خاوية الا من خطايا تقترف باسم الاسلام !

---

(٨٠) تاريخ الجبرتى ط بولاق ، ج ١ ، ص ٢٢٥

« تكد فى سبيل أن تجعل نفوس المسلمين مقابر .. وغايتهم المقابر .. وآلهتهم العظام البوالى فى المقابر ! ، وتحث المسلمين ليجعلوا الحياة كلها قربانا الى غيابات العدم ، وجيف المقابر !

« فما ينقضى فى مصر أسبوع ، الا وتحشد الصوفية أساطير شركها ، وعباد أوثانها عند مقبرة يسبحون بحمد جيفتها ، ويسجدون أذلاء لرمتها .. ويقترفون خطايا المجوسية فى حمأتها ، ويحتسون آثام الخمر والحشيش ، والأجساد التى طرحها الليل على الاثم فجورا ومعصية !! ويسمونها للناس : « موالد » أو مواسم عبر وذكريات خوالد !

« وما تجتمع جماعة صوفية أو تنفض .. الا ليبحثوا كيف يحتفون بصنم قبر ، أو رمة قبر !! وما يهوم ليل على صوفى ، أو يفزعه بالنور نهار ، الا وقلبه مستعبد بهوى صنم قبر ، أو رمة قبر ! .. وما يقعد صوفى أو يقوم ، أو يركب أو يمشى الا وينعق مستغيثا بصنم قبر ، أو رمة قبر !!

« قبور .. قبور !! هذه هى دنيا الصوفية ، لها جهاد الصوفية ، ولرممها عبادتها .. ولها تحيا ، ولها تموت ، وبها تعيش !! وخير ما تتمناه الصوفية ، هو أن يهلك المسلمون جميعا ، حتى يكون فى كل ساعة « مولد » مقبرة ، وعيد رمة !!

« فليقتل المسلمون أنفسهم ليمدوا الصوفية بأعياد كثيرة للقبور ، ونذور للجماجم !! ما لهم من دليل على حبهم للرسول وآل بيته سوى تلك « التواشيح » التى يتغذلون بها فى العيون الحوالم النعس ، والشفاه الظوامىء اللعس ، والأهداب المسبلات فى اغراء على لهب من الورد يتوهج فى الخدود النضر !!

« تلك هى أدلتهم ، ويالها من أدلة !! ، حياة كلها خطايا ، وقلوب أربابها رمم معبودة ، ونفوس آلهتها جيف ، وأفكار كلها للأساطير ، وحياة ميتة ، ووجود يفزع منه العدم ، ودنيا خمول خامد تعصف بها الذلة ، فأين الكفاح فى سبيل بناء الحياة » ؟[٨١] .

---

(٨١) هذه هى الصوفية ، مرجع سابق ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

الحق أن الشيخ عبد الرحمن الوكيل .. كان عنيفا وهو يتحدث عن عبادة القبور وتقديس الموتى ، كان عنيفا وهو ينقد المفاسد التى يحدثها الناس فى الموالد .. ولكن ما الحيلة وهو يدافع عن سنة رسول الله ﷺ .. وما جر الناس الى هذه العقائد الفاسدة الا مخالفتهم لأمره حين اتخذوا فوق القبور المساجد وأوقدوا عليها السرج ؟ !

ويحدثنا فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى عن بدع الموالد فيقول : « من بدع هذه « الموالد » الاطعام ، وتلاوة القرآن ، وما يسمونه بالذكر !! .. وهذه الأشياء فى الأصل من صالحات الاسلام ، لولا ما صحبها من انحرافات .. فهى مطلوبة فى كل وقت بنية القربى الى الله ، لا بنية المولد المحدث ، الذى لم يكن فى عهد السلف الصالح .

« بل وتجد أصوات مكبرات الصوت تتضارب بالذكر ، فتخرج عن دائرة الخشوع والخضوع ، الى دائرة الصخب والضجيج .. وربما كان لهذه المساجد والساحات جيران مرضى ، وطلبة يستذكرون ، وأطفال تفزع من هذه الأصوات المنكرة الصادرة من حناجر عملاء الشيطان !!

« ومن المحرمات التى تقع فيها — أى الموالد — اضاعة المال بكثرة الوقود وانارة المصابيح فى المساجد والطرق ، واستهلاك الشموع والمصابيح !!

« ومنها انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها ، وباللغط ووجود الأطفال والحفاة الذين ينجسونها حتى يتعذر اقامة الشعائر بها على الوجه المرضى ، ومعلوم أن التشويش فى المساجد حرام ولو بتلاوة القرآن !!

« ومنها تبرج النساء الزائرات للموالد والأضرحة ، مع الاختلاط بالرجال ، وما يحدث من فجور ونشل ومعارك فى تلك الليالى فى الساحة وما حولها !!

« ومنها استعمال آلات اللهو والأغانى الخليعة ، والحديث يقول : « من استمع الى قينة صب فى أذنه الآنك يوم القيامة » — أى الرصاص المذاب !!

« والتقرب .. يجب أن يكون لله تعالى ، وأن يكون بالحلال .. وأولياء الله الصالحون ينفرون من المعصية .. فأين هـذا الصخب والعبث من عمل الولى ؟ .. وهل كان هو على تلك الحال فى حياته ؟ ! ان من أراد أن يتقرب من انسان ، تقرب اليه بما يحب أن يفعل حال حياته .. وقد وصف الله تعالى أولياءه بأنهم : « **الذين آمنوا وكانوا يتقون** »(٨٢) — أى جمعوا بين حسن الاعتقاد وصلاح العمل ..

« ومن بدع الموالد : الترجيع فى القرآن كالطرب ، مع شرب « الجوزة » و « الشيشة » !!

« ومنها الرياء بالانفاق الزائد ، والتنافس بين الأغنياء للمباهاة ، وتعطيل الناس عن أعمالهم — وخاصة من يفدون من الريف — فضلا عما يتكبدون من مال هم أحوج ما يكونون اليه ، بالاضافة الى ما يحدثونه من أزمات خانقة فى المواصلات والطعام وما يحدث لهم من كوارث !!

« ومنها : حلقات الذكر المحرف ، وفيها المنشدون الذين يبتغون المـال والشهرة ، ولا يبتغون رضوان الله .. كما يوجد فيها الصارخون فى المساجد ، والمصفقون ، والمصفرون ، والراقصون المائلون المميلون !!

« كما تجد فى الطرق المؤدية الى الموالد من يقرأون القرآن على قارعة الطـريق ، وفى الحوانيت لاجتلاب الزبائن ، وعلى الكبارى وأبواب الأنفاق ، يستجدون بالقرآن عطف الناس ، فأرخصوا ما أغلى الله ، وحقروا ما عظم من منهج الحياة ودستور الوجود : كتاب الله !!

« وفيها — أى الموالد — تعطيل للعاملين — عمالا وفلاحين وطلبة — عن أداء واجباتهم بما فيها من افراط فى السهر والسفر ، وحملهم على التكلف بشراء ما يلزم من الشهوات — وقد يكون الكثير من رواد هذه الموالد ممن لا يركع لله ركعة !!

« وفيها : شد الرحال الى غير المسـاجد الثلاثة بمكة والمدينة والقدس .. حيث قال رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة

---

(٨٢) يونس : ٦٣

مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصا ، ومسجدى هذا » ..

« ولو لم يكن فى الموالد الا اتخاذ القبور عيداً للذبائح والقرابين والنذور — كفعل المشركين عند أوثانهم — لكفى بذلك تحريما ..

« علاوة على ما يحدث فى هـذه الموالد من توسل لغير الله ، وسؤال واستعانة بما سواه ، وشرك لا يحصى — مع أن منع المفاسد مقدم على جلب المصالح — وما دام المسلم لا يستطيع أن يزيل هذه المنكرات ، فليبتعد عن شهودها حتى لا تصيبه اللعنة ..

« ويقول تعالى : « **واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** »(٨٣) .

[أى اذا رأيت المشركين الذين يخوضون فى آيات الله بالاستهزاء والتكذيب ، فلا تجلس معهم حتى يأخذوا فى حديث آخر ، غير الاستهزاء بآيات الله وأحكامه ، وان أنساك الشيطان النهى عن الجلوس معهم ، ثم ذكرت ذلك النهى ، فلا تقعد بعد التذكر معهم] .

« ويقول جل شأنه : « **وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذن مثلهم** »(٨٤) .

[أى أنزل الله عليكم فى القرآن العظيم : بأنه اذا سمعتم من يسخر ويهزأ بآيات القرآن ، فلا تجلسوا معهم حتى يتحدثوا حديثا غيره ، فانكم ان جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزىء بها ، فانكم مثلهم فى ارتكابكم معصية الله ومخالفتكم أمره] .

« فثبت بالآيتين .. أن كل من حضر المعصـية — حتى ولو لم يفعلها — فهو شريك لفاعلها » ..

ثم يقول فضيلته : « والعجب .. أنهم جمعوا جميع موالد من يسمونهم أولياء تباعا .. فلا يكاد ينفض السامر عن مولد الا استأنفوا

---

(٨٣) الأنعام : ٦٨ (٨٤) النساء : ١٤٠

الرحيل لغيره .. وكم فى ذلك من أزمة للمواصلات ، وأزمة للطعام ، وكثرة النشـــالين ، وأحداث الفجور .. فضلا عن خرافات مضللات للعقيدة والعبادة والأخلاق »[٨٥] .

* * *

● **النذر لغير الله .. من الشرك :**

النذر .. عبادة وقربة .. والعبادة لا يجوز أن توجـــه الا الى الله تعالى .. يقول سبحانه : « **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار** »[٨٦] .. والمراد بالظالمين فى الآية : المشركون ، فان الشرك ظلم عظيم ، ومن قصد بالعبادة غير الله تعالى فقد أشرك . وعلى هذا فالنذر لغير الله تعالى ، كالنذر للقبور وأصحابها من الشرك ..

ويقول بعض العلماء[٨٧] : « النذر الذى ينذر له أكثر العوام — على ما هو مشاهد بيننا — كأن يكون للانسان غائب أو مريض ، أو له حاجة .. فيأتى الى مقبرة بعض الصالحين ويقول : ياسيدى فلان ، ان رد الله غائبى ، أو عوفى مريضى ، أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا ، أو من الطعام كذا ، أو من الشمع والزيت كذا .. فهذا النذر باطل ، بالاجماع .. وهو حرام لعال ثلاث :

(ا) أن النذر عبادة ، والعبادة لا تكون الا لله وحده ..

(ب) أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك شـــيئا الا ما قدم ، فلا يصح أن يوجه اليه نذر يملكه بعد وفاته ..

(جـ) اعتقاد الناذر أن للميت قدرة على التصرف فى الكون من دون الله ، فهذا كفر والعياذ بالله » .

ثم يقول : « اذا علمت هذا .. فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها ، وينتقل الى ضرائح الأولياء تقربا اليهم فحرام باجماع

---

(٨٥) هذه دعوتنا ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ — ٢٢٤ بتصرف .

(٨٦) البقرة : ٢٧٠

(٨٧) كالدكتور يوسف القرضاوى ، والشيخ عبد اللطيف مشتهرى جزاهما الله عن الاسلام خيرا ..

المسلمين .. واذا كان هذا النذر حراما ، فلا يلزم الوفاء به ، بل لا يجوز لثلاثة أدلة :

أولها : أنه جاء على غير أمر النبى ﷺ وقد قال : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ..

وثانيها : أنه نذر لغير الله ، فهو شرك .. والشرك لا حرمة له ، فهو مثل الحلف بالمخلوقات لا يجب الوفاء به ولا كفارة فيه ، وليس فيه الا الاستغفار كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية ..

الثالث : أنه نذر معصية ، وقد بينت السنة أن كل نذر اشتمل على معصية أو شرك ، لا يلزم الوفاء به ، بل لا يجوز الوفاء به .. ففى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا : « من نذر أن يطيعه فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » ..

وفيما صح من حديث : « النذر لا يأتى بخير ، وانما يستخرج الله به من البخيل » .. فهو ابتداءً غير مرغوب فيه .. ولكن اذا حدث على الوجه الشرعى دون شرك ، وكان نذر طاعة لله ، وجب الوفاء به »[٨٨] ..

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى : « من الشرك تقديم القرابين وذبح الذبائح لغير الله تعالى ..

« فقد جرت عادة المشركين فى كل أمة ، أن يتقربوا بذبائحهم الى آلهتهم وأصنامهم .. فأبطل الاسلام ذلك وحرم : « **ما أهل لغير الله به** »[٨٩] ــ أى ما ذكر عليه اسم غير الله من صنم أو نحوه ، « **وما ذبح على النصب** »[٩٠] ــ أى ما نصب من حجر أو شجر أو صنم ليعبد ، أو يعظم أو يتبرك به ..

وأمر أن يكون الذبح لله وحده ، ولهذا أمر رسوله ﷺ أن يجعل صلاته ونحره لله : « **فصل لربك وانحر** »[٩١] . وأن يعلن فى المشركين

---

(٨٨) انظر « حقيقة التوحيد » للدكتور يوسف القرضاوى ، و « هذه دعوتنا » للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ..

(٨٩) المائدة ٣ ، بلفظ « **وما أهل ...** » .

(٩٠) المائدة : ٣ (٩١) الكوثر : ٢

أن هديه مخالف لهم فى صلاته ونسـكه : « **قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت** »[٩٢] — والنسك هو الذبح بقصد التبرك ..

« وعن على رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله ﷺ بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله .. لعن الله من لعن والديه .. لعن الله من آوى محدثا[٩٣] .. لعن الله من غير منار الأرض »[٩٤] .

« وعن طارق بن شهاب ، أن رسول الله ﷺ قال : « دخل الجنة رجل فى ذباب ، ودخل النار رجل فى ذباب » — أى بسبب ذباب (!!) — قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال : « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب اليه شيئا ، فقالوا لأحدهما : قرب ، قال : ليس عندى شىء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار .. وقالوا للآخر : قرب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة »[٩٥] ..

« أثنى النبى ﷺ على هـذا الرجل المؤمن ، وأخبر عن دخوله الجنة لأنه صبر على القتل ولم يرض بتقديم أى شىء لغير الله عز وجل ، لأن القضية قضية قبل أى شىء .. ومن قبل أن يقدم لغير الله ذبابا ، أوشك أن يقدم بعد ذلك جملا »[٩٦] !!

من هذا يتبين لنا أن من نذر لغير الله ، ولو بأهون الأشياء — وهل أهون من الذباب ؟ ! — فقد أشرك .. لأنه قصد بالنذر — وهو عبادة — غير الله ، فكأنه أشرك فى عبادته لله الهاً آخر ..

* * *

---

(٩٢) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

(٩٣) أى : حمى مجرما يستحق العقاب بأن تستر عليه أو ناصره بنفوذه وسلطانه .

(٩٤) أى : معالم الأرض وحدودها ليدخل فى ملكه ما ليس من حقه ، والحديث رواه مسلم .

(٩٥) رواه أحمد ..

(٩٦) حقيقة التوحيد ، للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٥٨ — ٦٠ .

● **الى أين تذهب أموال النذور ؟**

لا يخلو ضريح فى أى مسجد من صندوق للنذور يوضع الى جوار الضريح •• وكأنما يدعو الشرك بعضه بعضا !! •• اذ تنتهى — عادة — مناسك الطواف التى ابتدعها عباد القبور بايداع بعض الحلى أو الأموال فى ذلك الصندوق •• واهمين أنهم بذلك الفعل يفوزون بالقربى من الله ، وينالون بركة ساكن الضريح •• وبهذا تقضى لهم الحوائج ، وترفع عنهم الكربات •• بعد أن أدوا ما افترضوه على أنفسهم من طواف بالقبر ، والتماس لبركة ساكنه ، واستشفاع بالمقبور فيه ، وتقديم النذور والقرابين اليه •• وعلى ساكن الضريح أن يؤدى بعد هذه المناسك ما هو مطلوب منه !!

وما درى الضالون أنهم بعقيدتهم الزائغة تلك ، قد خسروا الدنيا والآخرة !!

ويحق لكل منا •• أن يوجه سؤالا منطقيا الى نفسه : الى أين تذهب حصيلة هذه الأموال التى تتجمع فى صناديق النذور ؟ •• فما دام مطلوبا منا أن ندفع •• فان من حقنا أن نسأل !!

هل تصرف هذه الأموال على عمارة المساجد التى جمعت منها وتنفق على صيانتها ؟ ؟

هل تصرف فى مصارف الزكاة التى افترضها الله تعالى على الناس •• فتؤدى الى الفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ؟ ؟

هل تصرف فى مصارف الصدقة التى حددها الشارع سبحانه •• فتؤدى الى ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب ؟ ؟

هل تؤول الى خزانة الدولة ، فتضاف الى مواردها ليصرف منها على المشاريع العامة كانشاء المدارس وبناء المستشفيات والملاجىء ، وتعبيد الطرق وحماية الجسور ، وتسليح الجيوش ، وسداد الديون ••• الخ ، وبهذا يعود خيرها على المجتمع كله ؟ ؟

لو كان الأمر يؤول الى واحد من هذه الأمور ، لأيدنا ذلك الأمر ، ولقدمنا الأموال بنفس سخية ابتغاء مرضاة الله ورضوانه !!

ويشاء الله تعالى .. ألا تطول بنا هذه التساؤلات ، فيأتينا الرد شافيا حين طالعتنا احدى صحف الصباح[٩٧] تحت عناوين مثيرة تقول : « مفاجأة غريبة يكشف عنها طلب احاطة بالمجلس الشعبى للغربية — أين تذهب نذور السيد البدوى التى تزيد عن مليون جنيه — كل خليفة حصل على ٥٤ ألف جنيه ، وحامل مفتاح المقصورة تقاضى ٣٦ ألفا ، ورئيس الخدم ١٢ ألفا فى العام المـاضى » !!

ثم تقول الصحيفة : « على امتداد أكثر من ثلاث ساعات .. شهدت قاعة المجلس الشعبى لمحافظة الغربية مناقشة غريبة ، ومفاجآت أغرب ، حول طلب الاحاطة الذى تقدم به عدد من أعضاء المجلس ، بشأن حصيلة صناديق النذور بمساجد المحافظة ، والطريقة التى توزع بها نذور مسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا ..

« ولقد كشفت المناقشات .. عن أن الحصيلة النقدية لصندوق هذا المسجد فى العام المـاضى [١٩٨٤] بلغت مليونا و ٢٠٠ ألف جنيه ، وأن النذور العينية فى حدود هذا المبلغ .. بينما كانت حصيلة صناديق النذور الأخرى — وعددها ٢٢ صـندوقا على مسـتوى المحافظة — ٥٠ ألف جنيه (!!)

« والغريب فى الأمر .. أنه لا يعود على الدولة من صندوق نذور المسجد الأحمدى سوى ٣٩٪ فقط من جملة النذور النقدية .. وذلك طبقا للقرار الوزارى المحدد لنسب التوزيع .. أما الجزء الأكبر من النذور فقد استأثر به عدد محدود من الأفراد (!!)

« وجميع المبالغ التى يحصلون عليها معفاة من الضرائب (!!) .. فما هى الحكاية » ؟

---

(٩٧) انظر جريدة الأهرام القاهرية ، العدد ٣٥٨١٩ ، الصـادر صبيحة الأحد ١٤ من ربيع الثانى سنة ١٤٠٥ هـ (٦ يناير سنة ١٩٨٥ م) .

وتستطرد الصحيفة فتقول : الحكاية بدأت عندما تقدم عدد من أعضاء المجلس الشعبى للمحافظة بطلب احاطة .. وكان موضوع طلب الاحاطة هو معرفة أيرادات صناديق النذور بمساجد المحافظة ، والطريقة المتبعة فى توزيع حصيلة صندوق نذور المسجد الأحمدى على وجه الخصوص ..

« وعندما جاء موعد الجلسة المحددة لمناقشة طلب الاحاطة .. عقد المجلس جلسته برئاسة وكيل المجلس ، وشهدها المحافظ والمستشار ومدير الأوقاف بالغربية ..

« ومنذ اللحظة الأولى لبدء المناقشات ، سيطرت الدهشة على جميع الحاضرين .. فقد تقدم مدير الأوقاف ببيان الى المجلس كشف فيه عن حقائق لم يتوقعها أى منهم .

« وقال المدير فى بيانه : ان حصيلة صندوق المسجد الأحمدى بطنطا بلغت فى عام ١٩٨٤ مليونا و ٢٠٠ ألف من الجنيهات .. بينما كانت حصيلة ٢٢ صندوقا غيره على مستوى محافظة الغربية ٥٠ ألف جنيه ..

« وفيما يتعلق بطريقة توزيع حصيلة صندوق نذور المسجد الأحمدى .. فان القرار الوزارى رقم ٢٢ لسنة ١٩٧١ قد حدد النسب والجهات والأشخاص المستحقة لهذه النسب ..

« وطبقا لما يقضى به هذا القرار .. جاء بيان مديرية الأوقاف موضحا كيفية توزيع الحصيلة النقدية للصندوق فى العام الماضى (١٩٨٤) .. وهى كما يلى :

« الخليفة الأول	٥٤	ألف جنيه بنسبة ٥ر٤٪ »
« الخليفة الثانى	٥٤	ألف جنيه بنسبة ٥ر٤٪ »
« حامل مفتاح المقصورة	٣٦	ألف جنيه بنسبة ٣٪ »
« شيخ المسجد	١٨	ألف جنيه بنسبة ٥ر١٪ »
« رئيس الخدم	١٢	ألف جنيه بنسبة ١٪ »

« الكاتب (ولم تذكر الجريدة عدد الكتبة) ١٢ ألف جنيه بنسبة ١٪ »
« المؤذن ٦ آلاف جنيه بنسبة ٥ر٠٪ »
« مقيم الشعائر ٦ آلاف جنيه بنسبة ٥ر٠٪ »
« قارىء السورة ٦ آلاف جنيه بنسبة ٥ر٠٪ »
« خادم الدورة (ولم تذكر عددهم) ٦ آلاف جنيه بنسبة ٥ر٠٪ »
« قراء المقراة (وعددهم ٢٢ قارئاً) ١٣٢ ألف جنيه بنسبة ٥ر٠٪ »

— أما وزارة الأوقاف .. فالنسبة المقررة لها ٣٩٪ ، وقد بلغ مقدارها ٤٦٨ ألف جنيه » (!!) ثم تقول الصحيفة : « عند ذلك .. ثارت ضجة بالقاعة ، وتوالت تعليقات الحاضرين وهم يتساءلون : كيف يحصل عدد محدود من الأفراد على هذه المبالغ الخيالية ، بينما تحصل الوزارة المسئولة عن جميع مساجد الدولة على ٣٩٪ من مجموع الايرادات النقدية لصندوق نذور المسجد الأحمدى ؟ ! .. وأين تذهب النذور العينية » ؟ ! اهـ .

هذا ما نشرته — فى حينه — صحيفة الأهرام القاهرية .. ولنا أن نتساءل : هل كان واحد منا يتوقع هذه الأرقام الخرافية ؟ !

وهل يستقيم مع العقل ، أن يكون اجمالى مرتب وكيل أول الوزارة — قبل الاستقطاعات — ٢١٠٠ جنيه فى العام ، بينما يحصل رئيس الخدم بالمسجد الأحمدى فى نفس العام على ١٢ ألفاً من الجنيهات معفاة من الضرائب ؟ !

ثم .. أليس من المفارقات العجيبة — التى تدعو الى الدهشة والذهول — أن يحصل خادم الدورة فى أحد المساجد على ستة آلاف من الجنيهات سنويا .. بينما تعانى المساجد الأهلية من قلة عدد الدعاة ومقيمى الشعائر ؟ !

المهم .. نشرت الصحيفة هذه الأمور المذهلة .. ولم يقف السيد وزير الأوقاف — الدكتور الأحمدى أبو النور — ساكتا ازاء هذه الظاهرة الخطيرة .. وقرر على الفور تشكيل لجنة لاعادة النظر فى قرار توزيع

أموال صندوق نذور السيد البدوى وغيرها من الصناديق ، وتخصيص حصة منها — على الأقل — للصرف على أوجه الدعوة الاسلامية ، مع الاحتفاظ بنسبة للعاملين بالمسجد ..

ثم انتقلت مناقشات هذا الموضوع الى مجلس الشعب بناء على طلبات احاطة تقدم بها بعض الأعضاء .. وناقش المجلس المسألة .. ثم انفضت الدورة دون أن ينتهى المجلس الى قرار حاسم فى هذه المشكلة !!

وتمر الأيام .. وتتلقى بعض أجهزة الدولة سطورا قليلة من أحد المواطنين — الذين كانوا على دراية بكل ما يدور حول القضية — ويكشف فى رسالته للمسئولين عن حكاية جديدة ، يؤكد فيها أن الأشخاص الذين يحصلون على عشرات الألوف من الجنيهات من حصيلة صندوق النذور بالمسجد الأحمدى — اياه — لم يكتفوا بذلك ، بل انهم كانوا يمدون أيديهم لأموال النذور ومعهم جميع أعضاء اللجنة التى تتولى فتح الصندوق وجرد محتوياته !!

وتتحرك جميع الأجهزة المختصة ، ويقوم خبراء الجهاز المركزى للمحاسبات بمراجعة أوراقهم وملفاتهم ، فتأكدوا من صدق هذه المعلومات .. ويقرر الوزير تشكيل لجنة يرأسها وكيل وزارة الأوقاف بالاسكندرية لفحص ما جاء بتقارير الجهاز المركزى !!

ثم تظهر الفضيحة المذهلة التى فاجأتنا بها صحيفة الأهرام القاهرية — صبيحة الأحد ٥ يناير سنة ١٩٨٦ — تحت عناوين مثيرة تقول : « نذور السيد البدوى مليون و ١٤٣ ألف جنيه فى عشرة شهور ، كيف نتركها للعابثين ؟ — الجهاز المركزى يكشف ضياع ٧٥٠ ألف جنيه ، ووزير الأوقاف يحيل المسئولين الى التحقيق — النيابة تأمر بحبس وكيل وزارة ، وكل أعضاء اللجنة المسئولة عن جرد الصندوق »[٩٨] ..

---

(٩٨) انظر جريدة الأهرام القاهرية ، العدد ٣٦١٨٧ ، الصادر صبيحة الأحد ٢٤ من ربيع الثانى سنة ١٤٠٦ هـ (٥ يناير سنة ١٩٨٦ م) .

ثم تقول الصحيفة : ان اللجنة التى أمر السيد الوزير بتشكيلهـا لفحص ما جاء بتقارير الجهاز المركزى قد أعدت تقريرا .. « انتهت فيه الى وجود عجز كبير فى حصيلة الصندوق منها على سبيل المثال :

ـ أنه تبين من مراجعة أوراق فتح صنـدوق النـذور يـوم ١٦/١١/١٩٨٢ : أن عدد أوراق النقد الموجودة به من فئة الجنيه هى ١٦١٫٨٠٠ ورقة .. ولكن اللجنة التى قامت بفتح الصندوق حذفت الرقم واحد من اليسار والرقم صفر من اليمين .. وأثبتت أن المبلغ هو ٦١٨٠ جنيها فقط .. أى بفارق ١٥٥٫٦٢٠ جنيها (!!) .

ـ كما ثبت من مراجعة أوراق جرد الصندوق نفسه .. أن الصندوق كان بداخله ١٥٫٩٣٠ ورقة من فئة النصف جنيه قيمتها ٧٩٦٥ جنيها ، ولكن اللجنـة أثبتت أن المبـلغ هو ١٢٥٦٫٥ جنيهـا .. أى بفـارق ٦٧٠٨٫٥ جنيها (!!) .

« ومعنى ذلك أن العجز فى هذا الصندوق فقط هو ١٦٢٫٣٢٨ جنيها ونصف الجنيه (!!) .

« ومن هنا كان لا بد من احالة هؤلاء الناس جميعا الى النيابة .. حيث تولى التحقيق الأستاذ رئيس نيابة الأموال العامة ، وتحت اشراف المحـامى العام .. وكشفت التقارير أن جملة المبالغ الضائعة تقدر بـ ٧٥٠ ألف جنيه ، وذلك من خلال مراجعة جرد الصناديق عن أعوام ٨١ ، ٨٢ ، ١٩٨٣ فقط ..

« واتضح للنيابة من خلال تقارير الجهاز المركزى واللجنة التى شكلتها الوزارة .. أن هناك نماذج أخرى لاختلاسات أموال الصندوق منهـا :

ـ أن صندوق النذور الذى تم فتحه يوم ٣٠/٢/١٩٨٢ كان بداخله ٢١٦٥ ورقة من فئة الخمسة جنيهات قيمتها ١٠٫٨٢٥ جنيها ، وقد قيدت بمحضر لجنة فتح الصندوق بمبلغ ٤٣٣٠ جنيها فقط ، أى بفارق ٦٤٩٥ جنيها ، ورغم ذلك لم يتم توريد هذا المبلغ (!!)

« وقد وجهت النيابة تهمة الاختلاس الى كل من وكيل وزارة

الأوقاف بالغربية ، وامام المسجد ، وخطيبه ، ومندوب محافظة الغربية ، ومدير مديرية الشباب والرياضة بها ، ومندوب المجلس الشعبى المحلى ، ومندوب الدعوة بمديرية أوقاف الغربية .. ثم أمرت بحبسهم جميعا على ذمة التحقيق .. وتكليف اللجان التى تتولى مراجعة عمليات فتح وجرد الصناديق لمواصلة أعمالها للكشف عن أية اختلاسات أخرى عن عامى ٨٤/١٩٨٥ ، وما قد تكشف عنه اللجان عن أى انحرافات عن الأعوام السابقة قبل عام ١٩٨١ » ..

ثم تقول الصحيفة : « ومن هنا يدور السؤال .. الى متى التهاون فى الحفاظ على المال العام ؟ .. والى متى التباطؤ فى اصدار القرارات الهامة التى تحفظ للدولة أموالها ، مثل قرار تنظيم صرف النسب التى يمكن تخصيصها من حصيلة صندوق نذور السيد البدوى ؟

« وطالما أنه ثبت لدينا أن صناديق النذور فى المساجد الكبرى ، مثل السيد البدوى ، تدر عائداً كبيراً من الأموال .. فهل من المعقول أن يتم جرد هذه الصناديق بهذه الصورة العادية ؟ .. ولماذا لا يتم الجرد تحت اشراف أخصائيين من الجهاز المركزى ، أو من البنوك الكبيرة ، أو مندوبين من وزارة المالية وغيرها من الأجهزة المختصة فى هذا المجال ؟ » .. اهـ .

* * *

ونقول : هل عرفتم الآن — يا أصحاب النذور — لماذا قال الرسول ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » ؟ !

هل عرفتم لماذا قرر الاسلام أن : « من نذر لغير الله فقد أشرك » ..

هل وعيتم الدرس — يامن عصيتم الرسول ﷺ وعرضتم أنفسكم للشرك بالله — حين قدمتم النذور والقرابين لغير الله تعالى ؟ !

هل علمتم الآن — يامن استدنتم ، وبعتم أثاث بيوتكم ورهنتم دوركم كى تقدموا النذور والقرابين للموتى حتى تروج التجارة ، ويشفى المريض ، وينجح الطالب ، ويعود الغائب (!!) هل علمتم الى أين تذهب أموالكم ؟ !

هل عرفتم لماذا يرفع بعض الناس شعار : « قطع الوريد ، ولا قطع العوايد » ؟ !

وأخيرا .. هل أدركتم الآن — ياعباد القبور — معنى قول الله تعالى : « **هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** »(٩٩) .

فاللهم ربنا : أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واهد قومنا ياربنا فانهم لا يعلمون ..

* * *

● **ومن حلف بغير الله ، فقد أشرك :**

الحلف بغير الله تعالى .. كأن يقسم بالنبى ﷺ ، أو بالكعبة الشريفة ، أو بولى من الأولياء ، أو بكبير من الكبراء .. أو يقسم بالوطن ، أو بالآباء والأجداد ، أو بغير ذلك من المخلوقات فكل ذلك من الشرك .. وفى الحديث : « ومن حلف بغير الله فقد كفر » .. وفى رواية : « فقد أشرك » (١٠٠) .

وذلك لأن فى القسم تعظيما للمقسم به .. والذى ينبغى أن يخص بالتعظيم والتقديس هو الله وحده .. لهذا جاء النهى عن الحلف بغيره تعالى .. فقال ﷺ : « لا تحلفوا بآبائكم » .. وقال : « من كان حالفا فليحلف بالله ، أو ليذر » ..

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « لأن أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره صادقا » .

« ومن المعلوم فى الدين : أن الحلف بالله كاذبا كبيرة من الكبائر .. لكن الشرك — وان كان شركا أصغر — أكبر من كل الكبائر فى نظر فقهاء الصحابة رضى الله عنهم »(١٠١) .

---

(٩٩) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤

(١٠٠) رواه الترمذى وحسنه .

(١٠١) حقيقة التوحيد ، مرجع سابق ص ٤٦

ويعلق الدكتور يوسف القرضاوى على ذلك بقوله : « فالحالف بغير الله لا وفاء له ولا كفارة .. لأن هذا شرك ، والشرك لا حرمة له ..

وانما عليه أن يستغفر الله تعالى .. وأن يقول ما قاله الرسول ﷺ : « من حلف وقال فى حلفه : واللات والعزى ، فليقل : لا اله الا الله »[١٠٢] .. فبين هذا الحديث أن كفارة الشرك تجديد التوحيد ، لا الاطعام ولا الصيام »[١٠٣] .

* * *

● **خلاصة المسألة .. بين المعترضين والمجيزين :**

يطلق الصوفيون على أهل السنة : علماء الظاهر ، أو أهل الشريعة .. لأنهم يتمسكون بنصوص الكتاب والسنة ولا يحيدون عنها ..

ويطلقون على أنفسهم : أهل الحقيقة ، لأنهم لا يقفون أمام النصوص ، وانما يصلون الى المعانى الكامنة وراءها ، وذلك بالقاء الله تعالى فى قلوبهم أسرار هذه النصوص .. فهم — على هذا — علماء الباطن ..

ويختلف « علماء الظاهر » — أهل السنة — مع « علماء الباطن » — الصوفية — فى مسألة الأضرحة وما يدور حولها اختلافا كبيرا ، ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا : ان خلافهم حول هذه المسألة ينبع من أعماق الجذور ..

● فبينما يرى أهل السنة أن الأضرحة ليست الا مظهرا من مظاهر الوثنية — ولا يجتمع فى دين الاسلام قبر ومسجد أبدا — كما يقول الفقهاء من السلف الصالح — بل ويذهبون الى أنه اذا بنى المسجد أولا يهدم القبر ، أما اذا كان القبر أولا فيهدم المسجد .. لأن الاسلام سوى بين الجميع — من آل البيت وغيرهم لقول الرسول ﷺ لأقرب أقربائه : « اعملوا فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا » — وهذا يستوجب

---

(١٠٢) رواه البخارى . (١٠٣) حقيقة التوحيد ، ص ٤٦.

عدم تمييز آل البيت أو غيرهم ببناء الأضرحة على قبورهم .. أو رفع هذه القبور كما ترفع الأضرحة والمقامات ..

كما لا يصح فى نظر أهل السنة نقل الأضرحة الى المساجد ، فالمساجد دور للعبادة ، وحلقات للعلم وليست مدافن للموتى ..

والاسلام بهذا يوقف زحف الوثنية عليه كما زحفت على الأديان السابقة فحولت توحيدها الى شرك .. لأن أصل فكرة عبادة الأوثان — كما يقول أهل السنة — أنها كانت قبوراً تبنى لتذكر بالصالحين ، ثم نسى الجيل الأول هذا الأمر ، وجاء الجيل الثانى فظن أن القبور قد بنيت فى المساجد لتعبد ، فعبدوها .. واقتصر الجيل الثالث على اتخاذ صورة أو تمثال يعبدونه فى دورهم دون الذهاب الى دور العبادة .. ولهذا فان الاسلام حين يمنع ارتباط القبر أو الضريح بالمسجد ، فانما يريد بذلك أن ينهى كل مظاهر الوثنية ويقضى عليها .. ويحتج — أهل السنة — باحاديث الرسول ﷺ التى تنهى عن اتخاذ القبور مساجد ..

ولكن الصوفية : يجيزون اقامة المساجد فوق القبور .. محتجين لذلك بأنه عندما مات الرسول ﷺ فانه دفن بحجرة عائشة — رضى الله عنها — وكانت رضى الله عنها تؤدى الصلوات الخمس فى حجرتها ، وكان بها قبر الرسول ﷺ .. وصاحبيه : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وظلت عائشة رضى الله عنها تقيم صلواتها فى نفس الحجرة دون أن تتخذ من مكان القبر قبلة أو تصلى عليه .. وعلى هذا فهم يرون أن الصلاة بمكان به قبر صحيحة ، قياسا على صحة صلاتها — رضى الله عنها — بحجرتها وبها قبور الرسول ﷺ وصاحبيه رضوان الله عليهما !!

* * *

● ويرى أهل السنة عدم جواز شد الرحال الا الى المساجد الثلاثة التى ذكرها الرسول ﷺ فى حديثه ، وهى : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصا ، والمسجد النبوى الشريف ..

وشد الرحال — كما يراه أهل السنة — هو العزم على السفر وحزم

الحقائب والتوجه بالارادة الكاملة الى أحد المساجد الثلاثة التى وضحها الرسـول ﷺ فى قوله : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصا ، ومسجدى هذا » ..

فالنص فى هذا الحديث واضح : لا يحتاج الى تأويل أو اضافة .. فالنهى اذن عن شد الرحال لغير هذه المساجد هو نهى للتحريم ..

وهذا — كما يقولون — يختلف عن شد الرحال من أجل العلم اذا أراد المسلم أن يتعلم على يد أحد العلماء ، أو يسمع لأحد الخطباء ، فهذا بعيد عن أمر المساجد .. وتعلم العلم والسعى اليه مطلوب ، وقد كان الصحابة والتابعون يسافرون بالأيام والشهور لأحد الصحابة أو التابعين لمعرفة حديث عن الرسول ﷺ ..

ولكن الصوفية ، يرون أن الناس لم يفهموا الحديث على حقيقته .. اذ معنى الحديث — فى نظرهم — أن المساجد كلها متساوية فى الفضل والثواب .. فاذا صلى المسلم صلاة العصر — مثلا — فى مسجد معين ، فثوابه فيه مثل ثوابه فى أى مسجد آخر .. الا المساجد الثلاثة المذكورة فى الحديث ، فان الصـلاة فى المسجد الحرام يتضاعف ثوابها الى مائة ألف ، والصلاة فى المسجد النبوى يتضاعف ثوابها ألف مرة ، وفى المسجد الأقصا يتضاعف خمسمائة مرة .. أما سـائر المساجد فلا تضعيف فيها ، وكلها متساوية فى الفضل !!

ويرون أن شد الرحال لغير هذه المساجد الثلاثة .. لا لطلب مزيد ثواب فى الصلاة .. فهو عمل مباح لا شىء فيه .. فالناس يشدون الرحال لطلب العلم ، ويشدون الرحال للتجارة ، ويشدون الرحال لزيارة المساجد الموجود بها أضرحة !!

وانما تشد الرحال الى الأضرحة ، لا للصلاة فى مساجدها ، لأن الصلاة فيها تساوى الصلاة فى مسجد الحى أو القرية التى يسكنونها .. وانما يأتى مزيد من الثواب — فى نظرهم — فى الصلاة فى هـذه المساجد ، لا من ناحية كونها مساجد ، بل من ناحية زيادة عدد المصلين فيها .. فكلما زاد عدد المصلين فى الجماعة كلما كان ثواب المصلين أكثر ..

كما أن الناس قد يحصلون على مزيد من الثواب لأن هـذه المساجد قد عمرت بأنفاس الصالحين عبر القرون .. لكنها — كما يقولون — من حيث المسجدية تتساوى مع أى مسجد الا المساجد الثلاثة المذكورة فى الحديث !!

* * *

● ويرى أهل السنة : أن زيارة النساء للقبور لا تصح اطلاقا .. لقول الرسول ﷺ : « لعن الله زوارات القبور ... » فلعنة الله تلاحق زائرة القبر ، وما أجازه الرسـول ﷺ من زيارة القبور انمـا كان للرجال فقط ..

فاذا كان الرسول ﷺ قد نهى النساء عن الذهاب الى المقابر التى هى أصـلا للمسلمين جميعا ومن الجائز أن يزوروها .. فالأولى منع ذهابهن الى ما يخالف الشرع وهو الأضرحة ، وما يترتب على هـذه الزيارة من مفاسد ..

ولكن الصوفية لا يرون فى ذلك بأسا .. ويرون فى زيارة النساء للأضرحة أمرا مشروعا ، بل ومسنونا للعظة والاعتبار ، ولقراءة القرآن ، واهداء ثواب القراءة للموتى ، ولكى يأتنس الموتى كذلك بهن ، فان الموتى يأتنسون بزيارة الأحياء لهم !!

ويقولون : بأن من زار قبر ميت — أيا كان هذا الميت — فان الميت يعلم بزيارة من زاره ويراه ويسـمع حديثه .. ولو زار المسلم — أو المسلمة — قبر الميت وقرأ له ما تيسر من القرآن ، وأهدى ثواب قراءته للميت ، فان الميت يسمعه وهو يقرأ ويأنس به ويسعد بزيارته .. كما يسعد كذلك بالقرآن الذى وهب ثواب قراءته لروحه .. فالموتى جميعـا فى قبورهم أحياء — المسلمون منهم والكفـار ، والطائعون والعصاة — يرون من يزورهم ويستمعون لمـا يقرأونه .. لأن القبر اما روضة من رياض الجنـة ، واما حفرة من حفر النـار ، والنعيم أو العذاب لا يكون الا مع الحياة !!

أما ما يقترن بزيارة الأولياء والصالحين من أشياء لا تليق بالمسلم وتخرج عن الآداب الاسلامية ، فعلى الناس منعها .. فالمرأة التى تدخل

لزيارة هـذه القبور وهى سافرة ، يجب منعها من الدخول الى هـذه الأماكن ، كذلك يجب منع النساء اللاتى يرفعن أصواتهن بالزغاريد فيها !!

* * *

● ويرى أهل السـنة : أنه لا يجوز الطواف حول الأضرحة ، أو تقبيلها ، أو تقبيل الأعتاب وما يحدث عادة من العـامة عند زيارة الأولياء والصالحين .. فالطواف لا يجوز الا حول الكعبة .. كما أن التقبيل لا يجوز الا للحجر الأسود ..

ويقولون : ان كل دوران يتم حول شيء ما ، يسمى طوافا .. والطواف حول الكعبة يحسب من ابتداء الدوران من نقطة معينة الى أن يعود الطائف الى هـذه النقطة .. فهذا الدوران يسمى طوافا .. والقرآن الكريم يقصر الطواف على الكعبة بقوله تعالى : « **وليطوفوا بالبيت العتيق** »(١٠٤) .. ومعنى هـذا : أنه لا يجوز مطلقا الطواف بغير الكعبة كالأضرحة وغيرها .. لأن الطواف عبادة ، ولابد للعبادة أن تكون وفق ما جاء به الشرع ..

ولكن الصوفية يرون أن الطواف حول الأضرحة ليس طوافا .. وانما هو تنظيم لحركة المرور .. اذ أن الحركة الصحيحة — فى المكان المستدير — هى الدوران حوله ، والا تصادم الناس لو كان المرور فى اتجاه واحد .. وعلى هـذا لا يرون فى الدوران حول الأضرحة طوافا ، ولكنه تنظيم لحركة المرور !!

ويرون أن تقبيل الأضرحة والأعتاب .. ليس الا تعبيرا عن حب ، بالغ أصحابه فى التعبير عنه .. وعلى هذا فهو — فى نظرهم — ليس الا لونا من ألوان فعل الأشياء التى لا تليق ولم يرد بها شرع ، ولكنها لا تكفر صاحبها !!

* * *

● ويرى أهل السنة : أنه لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ، ولا بمولد غيره من آل البيت أو الأولياء .. لأن هـذا مما أحدثه الناس فى الدين ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة لقول الرسول ﷺ :

---

(١٠٤) الحج : ٢٩

« اياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ولقوله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ..

ولو كان الاحتفال بالموالد من الدين لفعله الرسول ﷺ أو الصحابة أو السلف الصالح رضوان الله عليهم ..

وقد صرح جماعة من أهل السنة بانكار الموالد وحذروا منها .. وخالفهم فى ذلك بعض المتأخرين وقالوا : انها جائزة اذا لم تشتمل على منكر ، وظنوا أنها من البدع الحسنة .. حتى آل الأمر الى ما نراه اليوم .. فمع كون هـذه الاحتفالات بدعة ، فان أغلبها لا يخلو من المنكرات كاختلاط النساء بالرجال ، والأغانى والمعازف والمخدرات ..

كما أنه يقع فيها ما هو أعظم من ذلك : كمناشدة الرسول ﷺ والأولياء والاستغاثة بهم وطلبهم المدد ، واعتقاد أن الولى يعلم ما فى الغيب .. وغير ذلك من الشرك الأكبر ..

ولهذا يرى أهل السنة أن الاحتفال بالموالد ليس من الاسلام فى شىء ، وأنه لا ينبغى للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس المبتدعين فى سائر الأقطار .. لأن هـذه الموالد وما يحدث فيها من منكرات مخالفة صريحة لشرع الله ..

ولكن الصوفية يرون أن اقامة الموالد ليس الا احتفالات لاحياء ذكرى الصالحين .. وأن الأصل فيها اجتماع الناس لتذكر حياة أولئكم الصالحين ، ولأخذ العظات والعبر من حياتهم .. حيث تقرأ فيها قصصهم فيتأثر الناس بها ، ويأخذون الأسوة من سيرتهم .. ولهذا فهى — فى نظرهم — من الأعمال المشروعة التى يثاب الناس عليها !!

ولا ينكر الصوفية ما يحدث فى هـذه الموالد من البدع والخرافات التى لا تليق بالمسلمين .. ويرون أنه يجب تطهيرها مما علق بها من الخرافات والبدع التى شوهت الكثير من جمالها .. وأن يدعم ما يكون بها من صالح الأعمال كالعكوف على تلاوة القرآن الكريم ، والاجتماع على ذكر الله ، واطعام الطعام .. وتذكر وقراءة سير أصحابها حتى تصبح مواسماً للطاعة ..

* * *

● ويرى أهل السنة أن النذور قربة الى الله تعالى وعبادة له .. ولابد أن يكون الله تعالى هو المقصود بهذه النذور لا غيره .. وأن أى نذر أو قربة تتوجه لغير الله فهو شرك ، ومن نذر لغير الله فقد أشرك ..

ويرون أن النذر لو كان لله تعالى ، لأنفقه الناذر فى أى مكان دون الارتباط بصـــندوق النذور .. اذ لم يعرف فى تاريخ السلف الصالح أنهم اتخذوا الأضرحة ، أو صناديق النذور الى جوارها .. لأن هذه المظاهـــر ليست اسلامية بل ومما ينهى عنه الشرع ..

ثم كيف يوضع المـــال فى صندوق للنذور لا يعرف الناس مصارفه .. فى حين أن أمام الناذر وحوله العديد من الفقراء المحتاجين الى هذا المـــال فى القرى والأحياء من المدن ؟ !

هذا .. على فرض أن النادر ينوى النذر لله وهو يضع نذره فى صندوق الولى .. ولكن الأغلب ما يقوله الناس من أن هـــذا النذر للولى الفلانى .. وهـــذا مظهر من مظـــاهر الشرك ينبغى أن ينتهى عنه المســـلمون ..

كما يرى أهل السنة : أن رفع الدعاء لغير الله تعالى ، والاستغاثة بصاحب الضريح ، والنذر للأولياء ، والاستعانة بالمقبورين والحلف بهم ، واسباغ أوصاف الله تعـــالى عليهم ـــ كقول القائل : « يا امام يالللى لا بتغفل ولا بتنام » (!!) ـــ وغير ذلك من الأمور التى يفعلها العـــامة حول الأضرحة .. كل ذلك من البدع المنكرة التى لا يجوز السكوت عليها أو الاغضاء من شأنها ..

فالدعاء عبادة ، والنذر عبادة ، والاستغاثة لا تجوز بغير الله ، فهو تعالى وحده غياث المستغيثين ، والاستعانة لا يجوز أن تكون بغير الله ، فهو وحده المعين .. والحلف لا يجوز بغير الله ، فهو وحده المعبود ولا رب سواه ..

ولكن الصوفية يرون جواز كل هـــذه الأمور .. بحجة أن عقيدة الناس سليمة ، وأنهم لا يقصدون فى أفعالهم غير الله تعالى .. ولكنهم

عندما يذكرون أسماء الأولياء والصالحين عند قيامهم بهذه الأمور ، لا يفعلون ذلك الا من قبيل التبرك بذكرهم ، واتخاذهم وسائل وقربات الى الله تعالى !!

هذه هى أهم مواطن الخلاف بين أهل السنة : علماء الظاهر (أهل الشريعة) ، وبين الصوفية : علماء الباطن (أهل الحقيقة) فى مسألة الأضرحة وما يدور حولها .. أوردناها بعد تلخيصها وذكرنا الحجج التى يحتج بها كلا الفريقين ، حتى لا نتهم بالتحيز ضد الصوفية .

* * *

● **فتوى صريحة فى مسألة الأضرحة :**

نشرت مجلة الاذاعة .. فى عددها الصادر فى يوم السبت السابع من سبتمبر عام ١٩٥٧ فتوى لفضيلة الشيخ حسن مأمون مفتى الديار المصرية فى « حكم الشرع فى زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء » ..

قال — جزاه الله عن الاسلام خيرا — :

« أود أن أذكر أولا أن أصل الدعوة الاسلامية يقوم على التوحيد .. والاسلام يحارب جاهدا كل ما يقرب الانسان من مزالق الشرك بالله ..

ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق .. وهى رواسب جاهلية ..

فلو نظرنا ما قاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام قالوا له : **« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »**(١٠٥) .. فهى نفس الحجة التى يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه ..

ومن مظاهر هذه الزيارات : أفعال تتنافى كلية مع عبادات اسلامية ثابتة ..

---

(١٠٥) الزمر : ٣

فالطواف فى الاسلام ، لم يشرع الا حول الكعبة الشريفة .. وكل طواف حول أى مكان آخر حرام شرعا ..

والتقبيل فى الاسلام ، لم يسن الا للحجر الأسود .. قال فيه عمر — رضى الله عنه — وهو يقبله : « والله لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت » ..

فتقبيل الأعتاب ، أو نحاس الضريح ، أو أى مكان به .. حرام قطعا ..

وتأتى بعد ذلك ، مسألة الشفاعة .. وهذه فى الآخرة غيرها فى الدنيا ، فالشفاعة ارتبطت فى أذهاننا بما يحدث فى هذه الحياة من توسط انسان لآخر أخطأ عند رئيسه ومن بيده أمره ، يطلب اليه أن يغفر له هذا الخطأ ، وان كان هذا المخطىء لا يستحق العفو والمغفرة ..

غير أن الله سبحانه وتعالى ، قد حدد طريق الشفاعة فى الآخرة .. فهذه الشفاعة لن تكون الا لمن يرتضى الله لهم أن يشفعوا ، ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة .. وهؤلاء أيضا يحددهم الله ..

اذن .. فكل هذا متعلق باذن الله وحكمه ..

فاذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أى كان .. فان هذا عبث لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ومن يشفع لهم ..

وعلى ذلك .. يتضح أن كل زيارة للأضرحة ، والطواف حولها ، وتقبيل المقصورة والأعتاب ، والتوسل بالأولياء وطلب الشفاعة منهم .. كل هذا حرام قطعا ، ومناف للشريعة ، وفيه اشراك بالله ..

وعلى العلماء : أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق ، فان الكثير من العامة — بل ومن الخاصة — ممن لم تتح لهم المعرفة الاسلامية الصحيحة يقعون فريسة هذه الرواسب الجاهلية التى تتنافى مع الاسلام .. واذا أخذ الناس بالرفق فى هذا الأمر فلابد أنهم

سوف يستجيبون للدعوة ، لأن الجميع حريصون — ولا شك — على التعرف على حقائق دينهم » ا هـ .

* * *

هـذه فتوى صريحة لفضيلة الشيخ حسن مأمون مفتى الديار المصرية الأسبق .. والآية التى استشهد بها فضيلته نزلت فى افراد الله وحده بالعبادة والدعاء .. وهى واضحة جلية فى النهى عن اتخاذ الوسطاء والشفعاء من دون الله .. يقول تعـالى : **« ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار »**(١٠٦) .

فالعبادة والطاعة لا تكون الا لله وحده .. خالصة له ولا شريك لأحد معه فيها .. أما الحجة التى يسوقها دائما الذين يتجهون بالعبادة والطاعة لغيره تعالى ، فهى قولهم : ما نعبد هؤلاء الأولياء الا ليقربونا الى الله منزلة ، ويشفعوا لنا عنده فى حاجتنا .. فالله — تعالى — سوف يفصل بين هؤلاء الناس — الذين يتخذون الأولياء من دونه — فيما يختلفون فيه ، بأن يصليهم جميعا نار جهنم .. الا من أخلص الدين لله وحده ، فهو تعالى لا يرشد الى الحق من هو مفتر على الله ، يقول عليه الباطل ، كافر بنعمته ، جاحد لربوبيته . .

ثم يقول جل شأنه : **« ان تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وان تشكروا يرضه لكم ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ، انه عليم بذات الصدور . واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا ، انك من أصحاب النار . أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب »**(١٠٧) .

فهو تعالى يقول لعباده : أن تكفروا أيها الناس جميعا ، فان الله

---

(١٠٦) الزمر : ٣ (١٠٧) الزمر : ٧ — ٩

غنى عن ايمانكم وعبادتكم ، ولا يرضى لعباده أن يكفروا به .. وان تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضى شكركم له بذلك ، ولا تؤاخذ نفس بذنب غيرها ، ثم الى ربكم مصيركم بعد وفاتكم ، فيخبركم بما كنتم تعملون ، فيجازيكم على ذلك : المحسن منكم باحسانه ، والمسيء بما يستحقه .. فهو تعالى لا يخفى عليه شيء ، فاتقوه فى سر أموركم وعلانيتها ..

وشأن الانسان — دائما — أنه اذا مسه بلاء فى جسده أو ماله — فكان فى جهد وضيق — أن يستغيث بربه الذى خلقه ويرغب اليه فى كشف ما نزل به ، تائبا اليه مما كان عليه ، راجعا الى طاعته .. ثم اذا كشف عنه ضره ، فأبدله بالسقم صحة ، وبالشدة رخاء .. ترك دعاءه الذى كان فى حال الضر .. وجعل لله تعالى أمثالا وأشباها ، وأطاع الشيطان فى عبادة الأنداد والشفعاء .. ليزيل من أراد أن يوحد الله عن توحيده ، والدخول فى عبادته والايمان به وحده ..

ثم يقول تعالى متوعدا أولئكم الذين يتخذون من دون الله الأولياء والشفعاء : تمتعوا بكفركم بالله قليلا ، الى أن تستوفى آجالكم وتأتيكم منيتكم ، فانكم من أهل النار الماكثين فيها أبدا .. فمهما تمتعتم بهذه الدنيا الفانية ، وتلذذتم بنعيمها الزائل ، فمصيركم الى نار جهنم ..

ويعقد تعالى المقارنة بين المؤمنين الذين يقضون ليلهم ، متعبدين لربهم ، ساجدين وقائمين ، وبين الذين يشركون به تعالى ويتخذون لـه الأنداد والشفعاء .. فيقـول : هل الذى جعل لله أندادا وشفعاء ، كهذا القائم لله تعالى ، مطيعا له ساعات الليل ، ساجدا أحيانا وأحيانا قائما ، يحذر عذاب الله فى الآخرة ، ويرجو أن يرحمه تعالى فيدخله جنته ؟ ..

هل يستوى الذين يعلمون ما لهم فى طاعتهم من الثواب ، وما عليهم فى معصيتهم من العقاب مع الذين لا يعلمون ذلك ، فهم يخبطون فى عشـواء ؟ !

ما هذان بمتساويين ، وانما يعتبر بحجج الله ويتدبرها ، أهل العقول والحجى ، لا أهل الجهل ونقص العقول ..

* * *